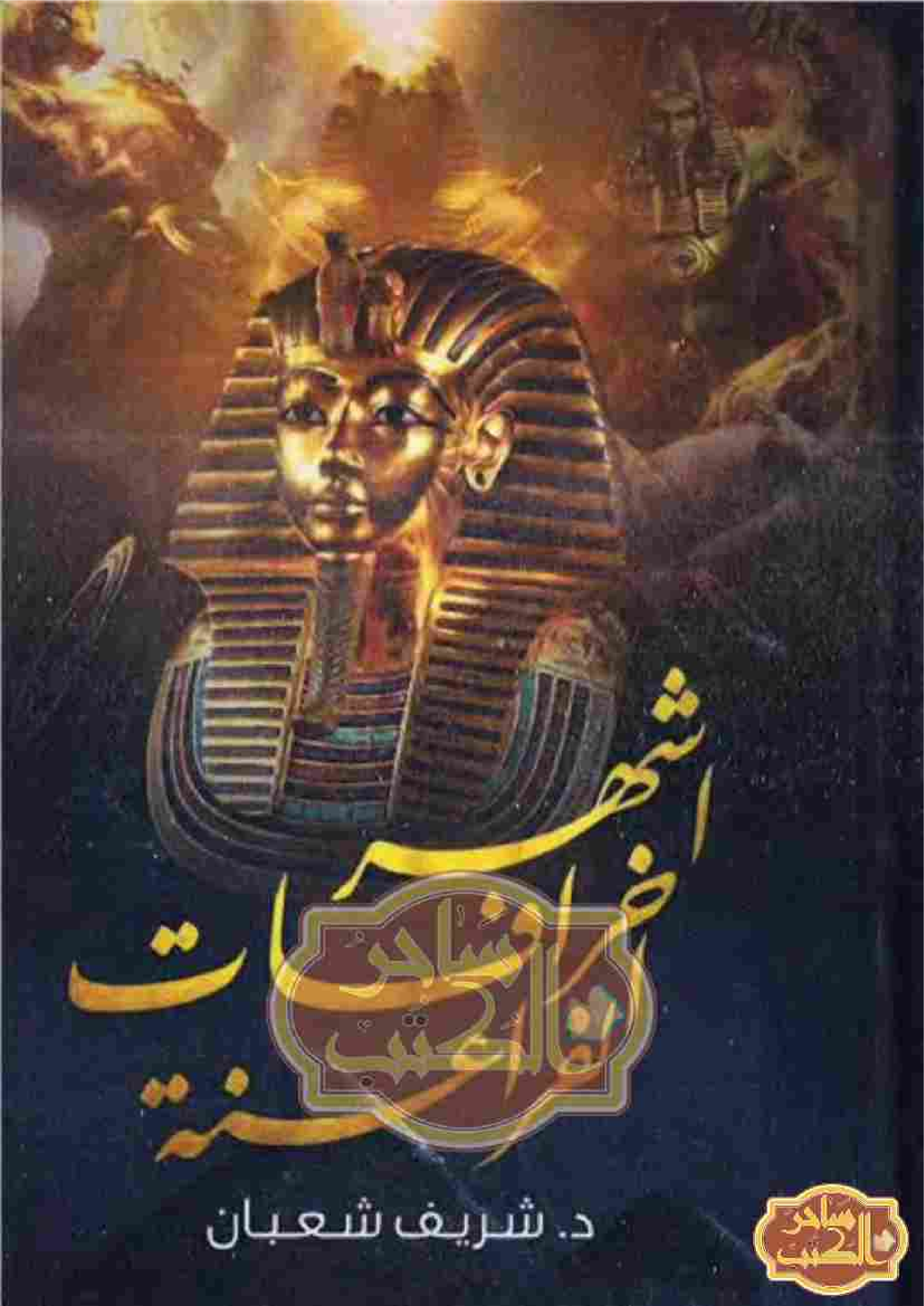

أشهر
لعنات
الفراعنة
د. شريف شعبان
ساحر الكتب


ساحر الكتب

الكتاب: خرافات الفراعنة

المؤلف: د. شريف شعبان

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد

تدقيق لغوي: عاشور عطا

رقم الإيداع: 2019/26834

الترقيم الدولي: 978-977-778-191-6



20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت: 02-338560372

Noon_publishing@yahoo.com

د. شريف شعبان

خرافات الفراعنة

محاولة لكسر أشهر الخزعبلات المرتبطة بالمصريين القدماء





إلى

من علمني كيف أحب صفحات الكتب وأمسك بالقلم،

وجعلني أتنفس الثقافة كما أتنفس الهواء،

وأواجه العالم بالفكر الحر مادمت حياً.

إلى روح أبي.

د. شعبان عبد العزيز خليفة.

الأب والمعلم.



هزمناهم، ليس حين غزوناهم ولكن حين أنسيناهم تاريخهم وحضارتهم..."

سيمونيدس، الشاعر الإغريقي.

"يا سولون.. أنتم الإغريق كنتم ومازلتم أطفالا.. فليس هناك عاقل بينكم ولا تملكون أية تقاليد..."

أحد الكهنة المصريين مخاطباً القائد الإغريقي سولون.



مقدمة

هل تتعرض الحضارة المصرية القديمة للتشويه؟

للأسف الشديد تأتي الإجابة بنعم، فلعل الحضارة المصرية القديمة كانت ولا تزال هي من أكثر حضارات البشرية التي أدهشت كل من مر عليها عبر جميع العصور، منذ أن أشرقت شمسها على وجه الأرض وحتى يومنا هذا، وهي الحضارة التي من شدة إعجازها ونبوغ أفرادها نالت قدراً مهولاً من الخرافات والأساطير يصل إلى حد التطاول. ولعل من طبيعة المصريين القدماء الاحتفاظ بأسرار مفردات حضارتهم داخل صدور كهنتهم متمثلة في أسرار اللغة القديمة والتي لم يتفقه فيها كل الشعب سوى المتعلمين منهم، وأسرار السحر وعلوم الطب ومعجزات الهندسة والمعمار وبراعة الفلك وغيرها من المعارف التي استأثروا بها عن بقية الشعوب المعاصرة لهم وتحولت إلى ألغاز للشعوب التالية لهم، تلك الطبيعة التي قادت العديد من المؤرخين والرحالة لتناول قشور الحضارة بعين من الجهل وأخرى من الحقد، فاستقوا الكثير من معلوماتهم عن طريق الأساطير والخرافات التي لا تعكس حقيقة الطابع المصري ولا الأخلاق المصرية ولا التاريخ والحضارة المصرية. فنرى هيرودوت والذي لُقب ظلماً بأبي التاريخ قد تجنى على الحضارة المصرية القديمة بأفكار لا تمت لعظمة تلك الحضارة بصلة، خاصة وأنه زار مصر بعدما خفت بريقها وزال مجدها، إبان فترة مظلمة من فترات تاريخها وهو عصر

الاحتلال الفارسي والذي أثر تأثيرا سلبيا على المجتمع المصري آنذاك، وكتب عنهم هذا الزائر الأجوف ما يشينهم ويحقر من شأن حضارتهم حتى زعم فيما كتبه عنهم أنهم قوم بدائيون يعبدون التماسيح والعجول والقطط، ويمكثون في بيتهم ليقوموا بأعمال النسيج، في نكران واضح لبراعة المصريين القدماء في بناء المعابد والأهرامات ونحت ضخام التماثيل، والتحقير من دور المرأة المصرية حين وصمها بأنها لا تعمل في الكهانة أو الطب تأثراً بتهميش دور المرأة في الحضارة الإغريقية متناسياً أعظم الكاهنات المصريات كالكاهنة حتبت من الأسرة الخامسة وأمهر الطبيبات المصريات مثل الطبيبة بسشيت من الأسرة الرابعة، واعتمد في كتابة موسوعته التي بلغت تسعة أجزاء - خصص لمصر الجزء الثاني - على حواديت كهنة وأفراد عاديين انقطعت علاقتهم بتفاصيل مجد الحضارة بآلاف السنين وأضاف عليه من انطباعاته الشخصية واعتبرها مرجعاً علميا. وقد ظلت هذه الصورة المشوهة والروايات الخادعة التى نشرها هيرودوت وغيره من الجهّال والمغرضين يرددها الناس مئات السنين، ومن المؤسف حقاً أن بعض الدارسين والباحثين في يومنا هذا يصدقون مثل تلك الأكاذيب ويعدونها مصادر لهم. وها هو بلليني الأكبر أحد أهم وأكبر الجغرافيين الرومان يسخر من مفردات الحضارة المصرية القديمة ويقلل من عظمة معمارها الذي لا يتكرر مقارنة بالعمارة الرومانية البرجماتية التي لا تحمل أي قدر من الروحانية مثل نظيرتها المصرية القديمة، فجهله بالعقيدة المصرية القديمة جعله لا يدرك أهمية أهرام الملوك وتماثيلهم ونقوشهم وقيمتها في الوجدان المصري القديم.

ويأتي اعتماد العديد من الباحثين الغربيين والمستشرقين المحدثين والمعاصرين على كتابات الرحالة الكلاسيكيين تمجيداً لنشاطهم الزائف وفكرهم المتعصب، في محاولة لإغفال دور واحد من أعظم المؤرخين المصريين القدماء وهو الكاهن مانيتون السمنودي الذي صال وجال في أنحاء مصر بحثاً عن المعلومة الحقيقة

معتمداً في كتاباته على الوثائق الرسمية التي خلفتها أرشيفات الحضارة المصرية وزار العديد من مكتبات المعابد معتمداً على إتقانه لغة أجداده، بالإضافة إلى استفادته من كل ما كان في متناول يديه من وثائق حكومية ومخطوطات إدارية وغيرها، ورغم هامش أخطائه إلا أنه أخرج لنا تاريخاً حقيقياً لمصر. فكيف نعتمد على كتابات رحالة جهلة بلغة وحضارة مصر ونسمي أحدهم بأبي التاريخ ونترك من قام بعمل مهول حقيقي يؤرخ لحضارة عظيمة؟ فمن هو الآن أبو التاريخ الحقيقي؟

ولا ينقطع التهجم والتهكم على الحضارة المصرية القديمة، فيأتي في العصر الحديث من يحاولون تجريد المصريين القدماء من حضارتهم العظيمة لما لمسوه من إبهار يصل حد الإعجاز، ونسبها إلى أقوام لا يمتون للحضارة بصلة مثل اليهود أو بني إسرائيل أو كائنات فضائية معتمدين على أدلة أثرية وتاريخية ضعيفة أو نسبها لقوى خارقة أو ظواهر سحرية لمجرد نكران قيمة المصري القديم وتأثيره على حضارات العالم.

وعلى الجانب الآخر يعتقد العديد من الهواة ومدعي العلم المعاصرين من مصريين وعرب بأنهم قد توصلوا إلى معلومات هامة وخطيرة فيما يخص مفردات الحضارة المصرية القديمة مثل معرفة سر بناء الهرم وإعادة فك رموز الكتابة الهيروغليفية معتمدين فقط على آيات القرآن الكريم ودون استخدام أية مراجع علمية حديثة أو مصادر تاريخية أو أثرية لها ثقلها، فلا يصح أن نعتمد على كتاب الله واعتباره المصدر المنفرد لتفسير التاريخ وشرح الآثار القديمة لأنه في الأصل ينص على الأوامر والنواهي مع الإشارة لأخبار الأمم السابقة للوعظ، ولكن يخرج علينا هواة لا علاقة لهم بعلوم الشريعة أو علم الآثار والتاريخ يفسرون آياته حسب أهواءهم وميولهم الشخصية، ويخلطون بين الشريعة والتاريخ كي

يُلبسوا آراءهم قدراً من القداسة يستميلون بها العامة ويضمنوا منهم عدم النقاش والجدال.

ويأتي هذا الكتاب كمحاولة جادة وصادقة لكشف الزيف ودحض الخرافات التي طالت الحضارة المصرية القديمة ومفرداتها، والتي للأسف تحولت إلى معلومات وحقائق راسخة في وجدان العامة وبعض المتخصصين سواء داخل مصر وخارجها، وتصحيح بعض الأمور المغلوطة ووضعها في نصابها الصحيح معتمداً على أساليب البحث العلمي الحديثة والمصادر التاريخية والأثرية السليمة مقارنة بما ذُكر في نصوص الكتب السماوية، كما سيتم ترجمة هذا الكتاب لعدة لغات كي نتخلص من تلك المفاهيم الخاطئة والخرافات التي التصقت بمصر القديمة من ومحوها من أذهان الناس في العالم كله واستبدالها بالمعلومات السليمة، وذلك لإنصاف حضارة مصر القديمة وتقديمها بالشكل اللائق والمكانة الحقيقية، وتعريف الناس بمدى أهميتها وعظمتها. فالتاريخ المصري القديم يستحق الكثير من الدراسة والبحث والتدقيق، حيث أن حضارتنا هى الأطول عبر التاريخ أخرجت للبشرية مختلف الفنون والعلوم والآداب والقيم. ومع تطور وسائل البحث فى التاريخ، وأصبحت المناهج المستخدمة أكثر علمية، يجب علينا استغلال ذلك فى الكشف عما هو جديد داخل أغوار حضارة مصر القديمة ومازال منه مختفياً بين أروقتها من أسرار وكنوز، وعدم الاعتماد الكامل على ما كتبه المؤرخون القدامى وبعض المحدثين، والذي حوّل أغلب جوانب تلك الحضارة العظيمة إلى أساطير وخرافات.

د. شريف شعبان

تاريخ مصر الخرافي

كيف روى لنا المؤرخون تاريخاً خرافيا لمصر؟



كان لفك رموز حجر رشيد ومن بعده التمكن من قراءة التاريخ المصري القديم ثورة حقيقية في علوم التاريخ والآثار، حيث إماطة اللثام عن آلاف السنين من تاريخ مصر القديمة مكثت في ظلال الجهل والخرافة، وأصبح متاح لنا معرفة حضارة مصر القديمة والتعرف على تفاصيلها الحقيقية بشكل علمي موثق. فكان المصريون القدماء على دراية كاملة بفكرة تسجيل الأحداث وتوثيق تاريخهم فيما يعرف بقوائم الملوك والتي تحدد حكام مصر ومدة حكمهم مثل حجر باليرمو من الأسرة الخامسة وقوائم الجيزة من الأسرة السادسة والكرنك من الأسرة الثامنة عشرة وأبيدوس وسقارة وبردية تورينو من الأسرة التاسعة عشرة، في حين قام المؤرخ المصري القديم مانيتون السمنودي بحصر تاريخ مصر القديم بأمر من الملك البطلمي بطلميوس الثاني في كتاب غاية في الأهمية عرف باسم "ايجيبتيكا Aegyptiaca" وأودع الكتاب في مكتبة الإسكندرية، ولكن للأسف تعرض للحرق ووصلنا منه بعض مقتطفات. فقد نجح مانيتون من خلاله تقسيم تاريخ مصر القديم إلى مجموعة أسرات بلغت نحو ثلاثين أسرة وهو التقسيم الذي نسير عليه حتى الآن.

ولكن خلال حكم البطالمة لمصر، فُرض على المصريين استخدام اللغة اليونانية، ومع دخول المسيحية لمصر اختفت اللغة المصرية القديمة شيئاً فشيئاً ولم تعد تستخدم سوى على نطاق ضيق، وحل محلها القبطية ذات الحروف اليونانية، وأصبح هناك شبه حاجز كبير بين المصريين وبين تاريخهم القديم، خاصة مع وفاة

آخر قارئ للغة المصرية القديمة في القرن الرابع الميلادي، وصاروا عاجزين عن فهم النقوش والمناظر المدونة على جدران المعابد والمقابر، وانفصلوا عن تاريخهم القديم ولغة أجدادهم، وأصبح يُنظر لتلك اللغة القديمة بأنها لغة وثنية. وبعد دخول المسلمين إلى مصر انقطع الحبل بينهم وبين تاريخهم القديم تماماً بعدما حلت اللغة والثقافة العربية لتكون لغة الدولة والشعب، حينها لجأ المصريون إلى اختراع الكثير من القصص التي يعتمدون فيها على تفسيرهم الشخصي للرموز الهيرغليفية التي كانوا يعتقدون أنها ليست حروفا، وإنما طلاسم ذات قوى سحرية وأدلة ترمز لأشياء خفية. ومن هنا ظهرت العديد من الأساطير التي ارتبطت بالتاريخ المصري، ومع مرور الوقت، تجمعت هذه القصص والروايات، لتشكل تاريخاً موازياً لمصر القديمة، ولكنه في حقيقة الأمر تاريخ أسطوري لا أساس له يضم أحداثاً غير حقيقية وأشخاصًا وهميين، ومن هنا جاء مصطلح "تاريخ مصر الخرافي".

وكان المصدر الأساسي الذي بُني عليه هذا التاريخ الأسطوري هو ما ورد في القصص الديني، سواء في القرآن الكريم أو الكتاب المقدس بشقيه العهد القديم والجديد، فأي رواية تتعلق بمصر ذكرت في الكتب السماوية كان المؤرخون يعتمدون عليها كأساس لقصصهم فيضيفون إليها استنتاجاتهم وتفاسيرهم وما يتناقله العامة عنهم، ويضعون لها نهايات درامية مؤثرة من وحي خيالهم تتناسب مع العظة والعبرة التي يعتقدون أن القصة الدينية تريد إيصالها. ومن هذه القصص، قصة النبي إبراهيم وزوجتيه سارة وهاجر، وقصة يوسف وبني إسرائيل ودخولهم إلى مصر وموسى وفرعون، وقصة قارون، وغيرها من القصص الديني.

وبالرغم من اقتراب بعض الرحالة والمؤرخين الكلاسيكيين مثل هيرودوت وبلوتارخ وبلليني واسترابون من مصر القديمة من الناحية الزمنية، إلا أن الكثير من

مؤلفاتهم وآراءهم حول تاريخ مصر حملت قدراً كبيراً من المبالغات والحواديت التي تميل للخرافة. أما العرب، فلم يكونوا ينظرون إلى آثار مصر على حقيقتها نظراً لاختلاف الثقافة واللغة، بل كانوا يرونها عجائب ومخابئ سحرية لكنوز دفينة تحرسها التماثيل والمناظر ذات الطابع السحري، وهو ما أثر في رواياتهم وتصوراتهم للتاريخ المصري القديم الذي كانوا يجهلونه بشكل كامل، فنرى مؤرخاً كبيراً مثل المقريزي والذي يعتبر مرجعاً في تاريخ مصر الإسلامية، ويشهد له بالحيادية البالغة والتزامه أسلوباً علميا ولغوياً لا يتكرر، عندما كان يكتب عن تاريخ مصر القديمة كانت قصصه مليئة بالخرافات والأساطير، وكان لغياب الأدلة العلمية أو المصادر الأثرية أثراً في جعله ينقل العديد من الروايات الوهمية التي يرددها عامة الناس، ونتيجة لذلك ظهرت سلالة كاملة من الملوك الأسطوريين والخرافيين الذين لم يوجدوا أبداً، اعتقد العرب لسنوات أنهم هم حكام مصر قبل آلاف السنين.

ملوك الطوفان.

قسّم المؤرخون القدماء تاريخ مصر الخرافي مما جمعوه من قصص وحواديت إلى فترتين: قبل الطوفان وبعد الطوفان، حيث ادُّعي أن مصر قبل الطوفان كانت تسمى على اسم شخص يدعى "مصرايم بن مراكيل بن داويل بن عرباق ابن ادم" وهو مصرايم الاول، الذى استقر هو أو ابنه "نقراوش بن مصرايم" فى مصر مع سبعين من بني "عرياب" وكلهم كانوا جبابرة في الحجم، وفسروا كلمة نقرواش أي ملك قومه. ومع استقرار مصرايم قام بحفر الترع وبناء الأبراج التي كتب على أسوارها أسرار الحكمة، وأكمل نقرواش عملية البناء والإعمار، فبنى الأعلام وأقام الأساطين وعمل المصانع واستخرج المعادن ووضع الطلسمات وأسس مدينة تسمى أمسوس.

ويتطرق المؤرخون إلى أعاجيب أقامها هذا الرجل في مدينته منها طائر يصفر كل يوم مع طلوع الشمس مرتين وعند غروبها مرتين، ومنها صنم من الحجر الأسود في وسط المدينة تجاهه صنم مثله، إذا دخل المدينة سارق لا يقدر أن يزول حتى يسلك بينهما فيطبقان عليه. وقسّم نقراوش مصر على ولاده، فمنح الغرب لنقاوش والشرق لشورب في حين منح لابنه الذى اسماه مصرايم - مصرايم بن نقراوش الجبار أو مصرايم الثانى- مدينه اسمها برسان، ولما مات عن عمر 180 سنه، حنطوا جسمه ووضعوه فى تابوت من الذهب ومعه كنوزه وتماثيله المذهبة مصحوبة بطلاسم لازمة لطرد الزواحف وكل من يحاول حاول ينبش تربته، وهنا نرى تأثراً بفكرة التحنيط التي شاعت في مصر القديمة.

وجاء "فحصليم" ابن لوجيم بن نقاوش من بني نقراوش وكان أول ملك خراق يبني مقياساً للنيل حسب ما ذكره المقريزي في كتابه مواعظ الاعتبار، حيث نرى أن مقياس النيل ظل يلعب دوراً كبيراً في مخيلة الناس رغم تناوله بشكل خيالي دون تقصٍ لحقيقة بناءه، فيذكر لنا قيام هذا الملك بجمع أرباب العلوم ليبنوا بيتاً من الرخام عند حافة النيل ووضع عند المقياس تمثالين من النحاس على شكل نسرين احدهما ذكر والآخر انثى، ولمّا يبدأ فيضان النيل كان الملك فحصليم يذهب إلى المقياس بصحبة الكهنة الذين يتلون التعاويذ أمامه، فإذا أطلق النسر الذكر الصفير سيكون الفيضان على مستو عال ويسود الرخاء أرض البلاد، لكن إذا انطلق الصفير من تمثال الانثى، فسيأتي الفيضان بأقل مستوى وسينتج عنه القحط.

ملوك مصر بعد الطوفان

يعود لنا المقريزي في وصف حكم مصر ما بعد الطوفان، حيث ظهر سلسال جديد من ملوك مصر حسب ما سمع، أولهم كان يدعى مصرايم بن بيصر بن حام

بن نوح أو مصرايم الثالث. عندما مات أبوه بيصر تم دفنه في مكان وهمي يسمى دير بأبي هرميس غربي الأهرام، وادعى أنها أول مقبرة دفن فيها احد بأرض مصر بعد الطوفان، وكان موته بعد 1806 سنين من الطوفان. ويكمل المقريزي حواديته حول مصرايم بأنه بنى المدن وشق الأنهار وغرس الأشجار وبنى مدينة عظيمة اسمها درسان وهي العريش وتزوج من امرأة من أولاد الكهنة فولدت له ابناً سماه قفطيم وبنى مدينة رقودة مكان الاسكندرية. ومات مصرايم بعد 2600 سنة من الطوفان، وقيل بعد 700 سنة. وتذكر لنا الخرافة أن مصرايم بن بيصر كان مع جد أبيه نوح عليه السلام في الفلك، فدعا له أن يسكنه الله الأرض الطيبة المباركة التي هي أم البلاد وغوث العباد، ونهرها أفضل الأنهار، وحين كبر بيصر ساقه ولده مصرايم وجميع اخوته إلى تلك الأرض فنزلوها وبذلك سميت مصر.

وبعد وفاة مصرايم يظهر لنا ابنه قبطيم ويقال له "قفط" تولى عرش مصر بعدما تصارع مع اخوته وآل إليه الحكم وهو عن عمر 90 سنة وحكم طيلة 480 عاماً وعرف اللغة القبطية، وانجب كل من "قفطريم" و "أشمون" و "أتريب" و"صا"، وبنوا مدينة مافا أو منف وهي أول مدينة عمرت بعد الطوفان، وصارت دار المملكة بعد غرق مدينة أمسوس في الطوفان، وهي بالطبع ليست منف أو ممفيس المعروفة والتي كانت عاصمة مصر الموحدة إبان عصر الملك نعرمر عام 3200 ق.م. ومن الملاحظ هنا أن أبناء قبطيم تسموا على أسماء مدن باقية حتى يومنا هذا. ويسرد لنا المؤرخون وصفاً تفصيلياً خرافياً لمدينة منف دون تحديد لمكانها او موقعها حيث ذكروا أنها كانت تضم سبعين باباً من الحديد وحيطاناً من الحديد وفيها كانت تجري الأنهار وبها قناطر وجسور. وتذكر لنا المصادر القديمة أنه في عهد الملك قبطيم اكتشفت الشياطين أغلب الأوثان التى غرقها الطوفان وأعادتها إلى المعابد ليكيدوا للناس، وهي قصة مستوحاة مما ذكر في قصص العهد القديم حيث نسل الملك داوود من ملوك اسرائيل ويهوذا الذين تركوا عبادة الله

ومالوا مرة أخرى لعبادة الأوثان، بالإضافة إلى قصص تفرق الناس في بابل وبُعدهم عن الإيمان بعد الطوفان وميلهم مرة أخرى لعبادة الاوثان. ثم يأتي أشمون بن قبطيم والذي يعتقد أنه حكم مصر لمدة 800 سنه، كما قيل أنه هو الذي بنى مدينتي البهنسا وعين شمس، وكان عالماً بعلوم السحر والكهانة كأجداده.

وبعد نسل مصرايم تصف لنا القصص الخرافية حكم مصر على يد قوم عاد، حيث قام احدهم ويدعى شداد بن هداد بن شداد بن عاد بالجلوس على عرشها وهدم مبانيها وذهب لموضع الاسكندرية فبناها، حيث غفل المؤرخون ذكر بناء الاسكندرية على يد الاسكندر المقدوني، بالاضافة إلى قيام شداد ببناء أهرام وهي إحدى الخرافات الشائعة والمرتبطة ببناء الهرم الأكبر والتي سنتحدث عنها بشكل موسع لاحقاً.

ويعود حكم بني مصرايم إلى مصر بعد أن خرج قوم عاد من مصر بعد أن مكثوا فيها 90 عاماً في تشبيه واضح بحكم الهكسوس لمصر لكنه بلغ نحو 200 عام، فيذكر المؤرخون حكم "ماليق البودشير" لمصر والملق بالخزعبلات، حيث كان عالماً في السحر وفك الطلاسم وظهرت له معجزات مثل صناعته لشجرة نحاسية تجمد ما يمر أمامها من طير أو حيوان مما يمكن الصيادين من قنصهم. وجاء من بعده حاكم يدعى ارقليمون الذي صعد للسماء وسكن فى السحاب، ثم ظهر مرة أخرى وأمر بتنصيب ابنه "عديم" ملكاً على مصر، وهو ما يمكن أن نقارنه بقصة كل من الأنبياء المسيح عيسى بن مريم أو إدريس او إلياس عليهم السلام في صعودهم إلى السماء.

وجاء حاكم آخر يسمى اتريب بن مصرايم، يذكر أنه كان ليناً على خلق وآمن بالتوحيد ونبذ عبادة الاصنام وعاش 500 سنة حكم منها 360 سنة، وفي عهده انقطع النيل 140 سنة حتى جفت الأرض وأكلت كل البهائم على أرض مصر، وهو

اقتباس لفكرة حكم اخناتون من حيث فكرة التوحيد مع حدوث تدهور اقتصادي نتيجة اهمال السياسة.

الفراعنة والعماليق

ينتقل بنا التاريخ الخرافي لمصر إلى مرحلة تعرف بحكم الفراعنة، فنعرف منهم حاكماً يدعى طوطيس ويقال أنه عمرو بن امرئ القيس، ويقال أنه الوليد بن ريان أول الفراعنه البالغين سبعة فراعين، وكان جباراً شديد البأس مهاباً. وقد ربط المؤرخون عصر هذا الملك الخرافي بحادثة دينية حقيقية وهي زيارة النبي ابراهيم عليه الصلاة والسلام مصر، حيث ذكروا انه هو الذى حاول يراود ساره زوجته عن نفسها وبعدما تاب أهداه هاجر التي تزوجها إبراهيم وأنجب منها اسماعيل جد العرب. بينما ذكر آخرون أن سلطان المصريين في عهد ابراهيم كان من قوم يدعى قاليق بن دارش. وقيل آن طوطيس يكثر القتل ولم ينجب سوى ابنة تدعى حورية أو جورياق وكانت أكثر حكمة وعقلاً فسمّت أبوها وتخلصت منه ووعدت الناس بالإحسان وجددت الهياكل. ومن بعد موتها غزا العماليق مصر على يد الوليد بن دومع.

وبغزو الوليد بن دومع لمصر بدأ حكم خرافي آخر يعرف لدى المؤرخين باسم حكم العماليق والذي حكم نحو 100 سنة، بينما يذكر المؤرخ ابن اسحق أنهم من ولد دان بن فهلوج من نسل النبي نوح، وخلفه الريان ابن الوليد فى الحكم واسماه المصريين نهراوس وقيل أنه آمن على يعقوب حين زار مصر، مما دمج قصته بقصة النبي يوسف، حيث ترك الريان الحكم في يد احد مساعديه وهو " قطفير" وهو المعروف بالعزيز، ولما مات الريان تولى يوسف مكانه.

يتستمر المؤرخون في المزج بين حواديتهم الخرافية وبين القصص الديني فيما

نرى بقصة شخص يدعى الوليد بن مصعب سادس حكام العماليق بأنه فرعون موسى، يحث يذكر أن أصله من مدينة بلخ او حوران، وكان في الأصل يعمل عطاراً لكن تراكمت عليه الديون فترك بلده ونزح إلى مصر، وكان أعور أعرج قصير القامة له لحية طولها سبع أشبار، وحكم مصر نحو 300 سنه أو 400 سنه فطغى وتكبر وقال للمصرين أنا ربكم الأعلى، فأنذره النبي موسى لكنه قاومه وطارده فغرق هو وقومه.

نهاية حكم الفراعنة الخرافي

تذكر لنا المصادر أنه لما غرق الوليد بن مصعب مع أهله، لم يبق في مصر سوى العبيد والخدم والنسوة الذين لم يشتركوا في مطاردة النبي موسى، حينها تم تنصيب امرأة منهم اسمها "دلوكة " ملكة على مصر. ويصف المؤرخون قيام تلك الملكة ببناء سور خرافي من أسوان للعريش لحماية مصر وضعت عليه مراقبين وحراس وأجراس من نحاس بحيث لمّا يحدث هجوم على حدود مصر يدق المراقبين الأجراس فيستعد من بالداخل. ويذكر ابن اسحق أنه كان لها ابن واحد فأكله السبع فقالت: لأمنعنّ السباع أن ترد النيل، فبنت ذلك الحائط حتى منعت السباع أن تصل إلى النيل، وأكمل بأنه يقال أن ذلك الحائط كان مطلسما، وكان فيه تماثيل كلّ إقليم على هيئته ووزنه وزيّه وصور الناس والدوابّ والسلاح التي فيه وطريق كل إقليم إلى مصر، وأكمل ما سمعه من خرافة بأن ذلك الحائط بني ليكون حاجزا بين الصعيد والنوبة لأنهم كانوا يغيرون على أهل الصعيد فلا يشعرون بهم حتى هجموا على بلادهم، فبُني ذلك الحائط لذلك السبب، واستعانت دلوكة بساحرة كان اسمها " تدورة" قامت برسم العديد من الطلاسم على أحجار السور لزيادة تحصينه، كما أنشأت لها برابي (معابد) في منف لها أبواب في جهاتها الأربعة، ورسمت داخلها على حيطانها رجال وبغال وخيول ومراكب، فاذا حصل هجوم من

الخارج ولم تستطع دلوكة و جيشها عليه كانو يدخلون البرابي ويقطعون رؤوس الصور ويخزقون أعينها فيحدث ماعملوه في الصور للجيش المهاجم. ومازال هناك بقايا سور في الصعيد يُعرف بإسم حائط العجوز يربطه البعض بإعتباره بقايا هذا السور الوهمي.

بعد غرق فرعون وهلاك دلوكة تذكر القصص أن ملوك مديّن حكموا مصر طيلة 500 عام، حتى أخرجهم الملك سليمان فعاد حكمها للقبط، فحكموا 620 سنة، ومن بعدهم خمس ملوك من بابل حكموا 34 سنة منهم ملك يدعى أمير طيوش، ومن بعدهم ثلاثة ملوك من أثور حكموا 28 سنة، ثم آل حكم مصر للاسكندر اليوناني. وهنا يأتي الخلط بين الخرافة متمثلة في تلك الأقوام المتتالية وبين التاريخ الحقيقي حيث الغزو الآشوري لمصر على يد أسرحدون في عهد الأسرة الخامسة والعشرين أو ما تعرف بالأسرة النوبية ومحاولة الغزو البابلي على يد بختنصر في عهد الأسرة السادسة والعشرين، والخلط بين أمير طيوش المزعوم والملك أميرتايوس من الأسرة الثامنة والعشرين وصراعه مع الاشوريين. وبعد ذلك الغزو تصل بنا الخرافة في اختلاط الأمم في مصر ما بين مصريين ويونانيين وعملاقة وظل القبط يحكمون البلاد حتى عهد "المقوقس" الذى في عهده استولى العرب على مصر، ويظهر الخلط مرة أخرى مع التاريخ الحقيقي المتمثل في فترة حكم الأسرة السادسة والعشرين حين دخل الاغريق مصر في صورة مرتزقة وتجار واختلطوا بالمصريين، ثم فترة نهاية الحكم الروماني والتاريخ القديم وبداية حكم العرب.

وحين ننظر بعين نقد لهذا التاريخ الخرافي، لا نجد أي رابط منطقي بين الملوك وأحداث عصورهم وتتابعهم أو ذكر لسنوات أو قرون محددة عاشوا فيها، لأنها مجرد حواديت مرسلة غير متسلسلة عن ملوك وهميين ينقلها المؤرخين عن بعضهم أو عن العوام ويحاولون إيجاد صلة بينهما بأحداث غير منطقية، بالإضافة

إلى اعتمادهم على ما تبقى من مبان أثرية جذبت انتباههم فأخذوا ينسجون حولها أحداثاً وهمية ونسباً خرافياً لهؤلاء الملوك، دون وجود أدلة أثرية تدل على ذلك النسب، كما يظهر التأثر بفكرة الطلاسم والكتابات السحرية التي دائماً ما يصفها المؤرخون على آثار هؤلاء الأقدمين مما يدل على ولعهم بآثار مصر القديمة رغم وعدم معرفتهم بلغتها. ونجد بعض الخلط بين أحداث حقيقية وقصص ديني اخذه المؤرخون عن بعض الرواة وبين احداث وهمية من خيالهم مما يجعلنا نرى قدر من التقارب في بعض الأحداث وإن كان لا يرقى لمستوى التأريخ الحقيقي. لذلك فيما يلي قائمة بأسماء ملوك مصر الحقيقيين وضعه عدة علماء على مدار مائة عام مضت بناء على قوائم الملوك القديمة وعلى رأسها تأريخ مانتيون.

قائمة ملوك مصر الحقيقيين

العصر العتيق 3100ـ2686ق.م

بدأت في هذه الفترة حضارة مصر القديمة مع توحيد الملك نعرمر لمملكتي الشمال والجنوب تحت تاج واحد وأسس عاصمة جديدة تعرف بإسم إينب حج أي الجدار الأبيض والتي سميت فيما بعد بمنف، كما ظهرت الكتابة المصرية القديمة.

الأسرة الأولى 3100-2890 ق.م

نعرمر/ مينا

حور عحا

جر

جت

دن

مريت نيت

عج إب

سمر خت

قاعا

الأسرة الثانية 2890- 2686 ق.م

حبت سخموي

نب رع (رع نب)

ني نثر

ونج

سند

بر إيب سن

خع سخموي

الدولة القديمة حوالي 2686 - 2181 ق.م

هو عصر بناة الأهرام حيث تطور فكرة المقابر الملكية من الشكل المبسط إلى الشكل الهرمي وتطور فكرة التحنيط وظهور ما يعرف بمتون الأهرام، مع زيادة قوة الدولة السياسية والاقتصادية والفنية

الأسرة الثالثة 2686-2613 ق.م

زوسر

سانخت نب كا

خع با

سخم خت

حوني

الأسرة الرابعة 2613-2494 ق.م

سنفرو

خوفو

جدف رع

خفرع

منكاورع

شبسسكاف

خنت كاوس

الأسرة الخامسة -2494 2345 ق.م

أوسركاف

ساحورع

نفر اير كارع

شبسسكا رع

نفر اف رع

نى اوسر رع

منكاو حور

جد كا رع

أوناس

الأسرة السادسة -2345 2181 ق.م

تتي

أوسر كا رع

ببي الأول

مرنرع

ببي الثاني

نيت اقرت

عصر الاضمحلال الأول 2181 ق.م2055- ق.م

تكونت أسر تلك الفترة من ملوك غير معروفين ولم يتركوا أثرا يذكر وساد خلال حكمهم الضعف والانفلات نتيجة أزمات اقتصادية مع تنامي سلطة حكام الأقاليم

الأسرتان السابعة والثامنة 2125-2181 ق.م

الأسرتان التاسعة والعاشرة -2160 2055 ق.م

خيتي مري إيب رع

خيتي واح كا رع

مريكارع

إيتي

(حكام طيبة مؤسسي الأسرة الحادية عشرة) -2125 2055 ق.م

منتوحتب الأول

انتف الأول

انتف الثاني

انتف الثالث

الدولة الوسطى من نحو 2055 ق.م إلى 1650 ق.م

وتتكون من الاسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة وخلالها تم توحيد مصر وارتقاءها مرة أخرى من خلال حماية حدود البلاد وزيادة الموارد الاقتصادية واختيار عاصمة جديدة للبلاد تعرف بإسم "إيثت تاوي" أي القابضة على الأرضين في منطقة اللشت بالجيزة حالياً.

الأسرة الحادية عشرة -2055 1984 ق.م

منتوحتب نب حبت رع الثاني

منتوحتب سعنخ كارع الثالث

منتوحتب نبتاوي رع الرابع

الأسرة الثانية عشر -1984 1795 ق.م

أمنمحات الأول

سنوسرت الأول

أمنمحات الثاني

سنوسرت الثاني

سنوسرت الثالث

أمنمحات الثالث

أمنمحات الرابع

الملكة سبك نفرو

الأسرة الثالثة عشر -1795 1650 ق.م

حوالي سبعون ملكا لم يحكموا بشكل فعّال منهم:

حور

خنجر

سوبك حتب الثالث

نفر حتب الأول

سوبك حتب الرابع

الأسرة الرابعة عشر 1650-1750 ق.م

جانب من ملوكها معاصر للثالثة عشرة

عصر الاضمحلال الثاني (عصر الهكسوس) 1550-1650 ق.م

الأسرة الخامسة عشر 1650 1550- ق.م

تسلل مجموعة القبائل من الشمال الشرقي والمعروفين باسم الهكسوس في الدلتا، واستغلوا ضعف البلاد وتمكنوا من الحكم وعملوا على نهب خيراتها، كما انفصلت النوبة عن مصر وشكلت مملكة مستقلة في الجنوب.

سالاتيس

خيان

أبيبي

خمودي

أبو فيس

الأسرتان السادسة عشر والسابعة عشر 1650 1550- ق.م.

مجموعة من ملوك طيبة المعاصرين للهكسوس

انتف نب خبر رع

سقنن رع - تاعا الثاني

الملكة إياح حتب

كامس

الدولة الحديثة حوالي 1069-1550 ق.م.

خلالها تم طرد الهكسوس وبناء الامبراطورية المصرية العظمى ووصول الفن والعمارة والفكر الديني إلى قمته حيث تغير شكل المقابر إلى ممرات داخل الجبل عرفت بإسم مقابر وادي الملوك واتخذ الملوك عاصمة جديدة للدولة في طيبة بالإضافة إلى مدينة بر رمسيس بالشمال في عهد رمسيس الثاني

الأسرة الثامنة عشر -1550 1295 ق.م

آحمس

أمنحتب الأول

تحتمس الأول

تحتمس الثاني

تحتمس الثالث

حتشبسوت

أمنحتب الثاني

تحتمس الرابع

أمنحتب الثالث

أمنحتب الرابع) أخناتون)

سمنخ كا رع (شريك في الحكم لأخناتون)

توت عنخ أمون

آى

حور محب

الأسرة التاسعة عشر (الرعامسة) 1186-1295 ق.م

رمسيس الأول

سيتى الأول

رمسيس الثاني

مرنبتاح

سيتى الثاني

أمون مس (مغتصب للعرش إبان سيتى الثاني)

سي بتاح

الملكة تاوسرت

الأسرة العشرون (الرعامسة) -1186 1069 ق.م

ست نخت

رمسيس الثالث

رمسيس الرابع

رمسيس الخامس

رمسيس السادس

رمسيس السابع

رمسيس الثامن

رمسيس التاسع

رمسيس العاشر

رمسيس الحادى عشر

عصر الإنتقال الثالث 1069-747 ق.م

حكمت عدة أسرات متزامنة أجزاء مختلفة من البلاد، حيث كانت الدلتا من نصيب رجال من أصل ليبي أما الجنوب فأصبح مستقل تحت حكم كهنة آمون في

طيبة، وتأرجحت عاصمة مصر ما بين تانيس (صان الحجر) وسايس (صا الحجر) وطيبة

الأسرة الحادية والعشرون بتانيس 945-1079 ق.م

سمندس

أمون أم نسو

بسوسنس الأول

أمنوبي

اوسركون الأول

سي أمون

بسوسنس الثاني

الأسرة الحادية والعشرون بطيبة 945-1079 ق.م

آسرة من الكهنة معاصرة لملوك تانيس

حريحور

الكاهن الأكبر بي عنخى

الكاهن الأكبر بينوزم

الكاهن الأكبر ماساهرتا

الملك والكاهن الأكبر من خبر رع

الكاهن الأكبر بينوزم الثانى

الأسرة الثانية والعشرون 945-715 ق.م

شيشنق الأول

اوسركون الثاني

شيشنق الثاني

تاكيلوت الأول

اوسركون الثاني

تاكيلوت الثاني

شيشنق الثالث

بامى

شيشنق الخامس

اوسركون الخامس

الأسرة الثالثة والعشرون 818-715 ق.م

مجموعة من الملوك المتعاصرين (عاصروا نهاية الأسرة الثانية والعشرون) وحكموا في مناطق مختلفة

بادو باستت الأول

أوسركون الثالث

الأسرة الرابعة والعشرون 715-727 ق.م

ملوك عاصروا الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين

تف نخت

باك إن رن إف

الأسرة الخامسة والعشرون (مصر) 656-747 ق.م

حكم مصر ملوك كوش بالنوبة والذين حمكوا طيبة في البداية ثم سيطروا على البلاد بأكملها، وقاموا بإحداث نهضة في البلاد

بيعنخي

شباكا

شبتكو

طهارقا

تانوت آمون

العصر المتأخر -747 332 ق.م

وقعت مصر في حالة من الضعف حتى أصبحت عرضة للاحتلال الآشوري والفارسي مع قيام حركات تمرد وأسر مستقلة ضعيفة حتى انتهى الأمر إلى غزو الاسكندر

الأسرة السادسة والعشرون -747 525 ق.م

نخاو الأول

إبسماتيك الأول

نخاو الثاني

بسماتيك الثاني

أبريس

أحمس الثاني

بسماتيك الثالث

الأسرة السابعة والعشرون (الاحتلال الفارسي الأول) 404-525 ق.م

قمبيز

دارا الأول

اكسركسيس الأول

ارتاكسركسيس الأول

دارا الثاني

الأسرة الثامنة وعشرون 399-404 ق.م

أميرتايوس

الأسرة التاسعة والعشرون 380-399 ق.م

نفريتس الأول

هكور

نفريتس الثاني

الأسرة الثلاثون 380-343 ق.م

نختنبو الأول

تيوس

نختنبو الثاني

الأسرة الحادية والثلاثين (الاحتلال الفارسي الثاني) -343 332 ق.م

ارتاكسركسيس الثالث

أرسيس

دارا الثالث

مصر البطلمية 332-30 ق.م

سقوط مصر القديمة بعد دخول الاسكندر وبعد وفاته آل حكمها للاغريق تحت قيادة احد قادته وهو بطلميوس الذي أسس دولة بإسمه ومن نسله واتخذ من الاسكندرية عاصمة له وساد حكم البطالمة حتى الاحتلال الروماني

الاسكندر الأكبر

بطلميوس الأول سوتير

بطلميوس الثاني فيلاديلفوس

بطلميوس الثالث إيوريجيتيس الأول

بطلميوس الرابع فيلوباتور

بطلميوس الخامس إبيفانيس

بطلميوس السادس فيلوميتور

بطلميوس السابع فيلوباتور الثاني

بطلميوس الثامن إيوريجيتيس الثاني

بطلميوس التاسع سوتير الثاني

بطلميوس العاشر الاسكندر الأول

بطلميوس التاسع سوتير الثاني (مرة ثانية)

بطلميوس الحادي عشر الاسكندر الثاني

بطلميوس الثاني عشر ديونيسوس الزمار

كليوباترا السابعة

بطلميوس الثالث عشر

بطلميوس الرابع عشر

بطلميوس الخامس عشر قيصرون

الهرم الأكبر.. معجزة طالتها الخرافة



يقف الهرم الأكبر ليكون أقصى ما وصلت إليه تجارب بناة الأهرام من إعجاز في المعمار والهندسة رغم ما تلاه من أهرام، ولم يكن هرم الملك خوفو هو أعظم ما شيده المصريون من نوعه فحسب بل امتاز بقدر من الغموض وكم من الأسرار التي عاشت بين جنباته آلاف السنين. كما يعد الهرم الأكبر هو الأثر الوحيد الباقي على الأرض من عجائب الدنيا السبع، وهو بحق يستحق أن يكون عجيبة في حد ذاته دون مقارنة لما في بنائه من تعقيد وتفرد لا يتكرر، إذ يبلغ ارتفاعه حوالي 137م بعدما كان في الأصل 142م ويتكون من نصف مليون كتلة حجرية يتراوح وزنها ما بين النصف طن و2 طن. وظل الهرم الأكبر أعلى مبنى في العالم طيلة 3,800 عام، حتى تم بناء قمة كاتدرائية لينكولن بانجلترا بارتفاع 160 متر في عام 1300م. ويمكن لمساحة قاعدة الهرم الأكبر أن تسع مساحة البرلمان الانجليزي وكاتدرائية سان بولس مجتمعين، وإذا فككنا أحجار الهرم إلى أحجار صغيرة بحجم قدم مربع واحد ووضعناها بجوار بعضها البعض لأصبح طولها ثلثي طول الأرض عند خط الاستواء، أو بناء سور حول فرنسا بارتفاع 3 أمتار وسمك متر مع استخدام أحجار بقية الأهرام المجاورة.

وقد شاعت حول الهرم مئات النظريات والأقاويل والتي اتبعها الرحالة والمؤرخون القدماء منهم أو المحدثين، وتركوا لنا العديد من الافتراضات المتناقضة فيما بينها خصوصاً عندما يشيرون إلى أسباب تشييده، والكيفية التي بُني بها، فحركت خيالهم وانطلقوا يبحثون عن أسراره، ودارت في بالهم تلك الأسئلة عبر مئات من السنوات دون إجابة منطقية، جاء الوقت لنجيب عنها.

خرافات الرحالة حول الهرم:

توافد العديد من المؤرخين الكلاسيكيين إلى مصر خلال انحدار حضارتها المصرية القديمة وزاروا الهرم الأكبر الذي ظل شامخاً وتناولوه بنوع من الدهشة الممزوجة بالجهل والخرافة والتي تظهر جلية في كتاباتهم، فنرى بلليني الأكبر يتطاول على الهرم ويصفه بأنه ليس إلا استعراض سخيف لا فائدة منه لثروة ملك حتى لا يتركها لمن بعده من خلفاء أو خصوم والكثير من المتآمرين ولا يعرف أين اختفت جثته التي سرقت انتقاما من طغيانه وظلمه، ولكن هذا لم يمنعه من إظهار إعجابه بهندسته وتساءل السؤال الأزلي: كيف استطاعوا رفع الأحجار إلى هذا الارتفاع العظيم؟! بينما يذكر استرابون الإغريقي بأن باني الهرم الأكبر هو الملك "خيميس" والذي سخر مائتي ألف من العمال لبنائه في عهد ساده الظلم والاستبداد.

أما هيرودوت فقد تناول وصف الهرم ببلاهة شديدة في قوله بأن الهرم قد نقش بحروف مصرية تساوي ما استهلكه العمال في أكلهم من ثوم وبصل، وزاد من تطاوله على الهرم والملك خوفو نفسه فيما ذكره في جزئه الثاني من كتابه "التاريخ" في الفقرتين 124 و125، حين ذكر أن الملك "خيوبس" "قد جر البلاد إلى البؤس والشقاء وجعل المصريين كالعبيد يجرون الأحجار الضخمة من المحاجر حيث كان يعمل مائة ألف عامل". ولم تتوقف إهانته عند هذا الحد بل أكمل بأن "الملك كان يرسل ابنته لبيوت الدعارة ويأمرها بجلب مبالغ محددة بعدما أنفق كل كنوزه". ومن المؤسف أن هناك من يردد تلك المعلومات الخاطئة حتى الآن، ويبدو أن هيرودوت قد سمع كلاماً عن الهرم والملك خوفو يردده العامة تناقلوه عبر سنوات لا أساس له من الصحة أثناء زيارته لمصر، فالملك خوفو كان ملكاً عظيماً صاحب مشروع وطني حظي بالتقديس حتى بعد وفاته بآلاف السنين، وليس الكره والاستهجان كما كان يروج هيرودوت، حيث نجد آثاراً تشير إلى استمرار

كهنة خوفو في إحياء ذكراه وتقديسه من بتمائم وخواتم كان يحصل عليها الناس تبركاً باسمه أشهرها تمثاله العاجي الشهير الذي يرجع للأسرة السادسة والعشرين بالعصر المتأخر في أبيدوس، في حين أن ابنته كانت في مصاف الربة إيزيس من حيث التبجيل والتوقير، ولم نسمع عن أميرة مصرية طوال التاريخ المصري القديم قد أقدمت على فعلة شنعاء أو عمل مخجل قط.

أسطورة الهرم والطوفان وبيت الأسرار:

مع انفصال المصريين عن تاريخهم ولغتهم، نسب المسيحيون الأوائل الهرم لفكرة الفيضان واعتُبر أنه مساوٍ لسفينة نوح، وهو الاعتقاد الذي ساد لدى البعض حتى القرن الثامن عشر، كما اعتقد الناس بأن الهرم هو بيت أسرار المعرفة وعلوم الحكمة وخزائن التنجيم. ولم يختلف الأمر كثيراً لدى المؤرخين العرب والمسلمين، فقد جمع المقريزي عدداً كبيراً من القصص الأسطورية حول الأهرامات، ومن بين تلك القصص قصة الملك سوريد الذي قيل عنه أنه زين جدران وأسقف حجرات الهرم الأكبر بالنجوم والكواكب وملأها بالكنوز التي لا تحصى. فتذكر لنا الأسطورة أن هذا الملك قام ببناء الهرمين ليسبقا الفيضان بـ 300 عام، حيث رأى سوريد الملك في منامه أن الأرض تنقلب بسكانها والناس يهيمون على وجوههم، بينما تتخبط النجوم في بعضها البعض مصحوبة بصوت رهيب وتتساقط على الأرض الواحد تلو الآخر. تلك الرؤيا أصابت الملك بالحزن ولم يقص منامه على أحد لكنه شعر بأن حدثاً جسيماً سوف يحدث للعالم. وبعدها بأيام عادت رؤيا أخرى للملك بأن النجوم تأتي إلى الأرض على هيئة طيور بيضاء تقبض على الناس وتقذف بهم بين جبلين هائلين سرعان ما ينغلقان عليهم. حينها استيقظ سوريد الملك رعباً وجمع كبار الكهنة من كل مقاطعات مصر وبلغوا 130 كاهناً وأخبرهم بما رأى في المنامين، فأخبره الكاهن الأكبر ويدعى "فليمون" برؤيا مشابهة رآها في منامه

بأنه كان مع الملك في مدينة أمسوس وأصبحت السماء عند رأسه أشبه بالقبة وتتساقط عليه النجوم والناس في فزع شديد كما رأى المدينة تنقلب رأسا على عقب بينما يخرج من السماء رجالٌ يهبطون بعصي يضربون بها الناس لأنهم لا يؤمنون بإلههم، وحين سألهم فليمون عن الهرب من الهلاك فأخبروه بأن السبيل في الانضمام إلى سيد المركب وهو إيذان بحدوث الفيضان، حينها أمر الملك ببناء الأهرام كي تسجل بجدرانها وأسقف حجراتها النجوم والكواكب وجميع العلوم في عصره كما حوت حجراتها ما لا يمكن إحصاؤه من الكنوز الثمينة كالأحجار والجواهر والأسلحة المصنوعة من الحديد الذي لا يصدأ والزجاج السحري الذي ينثني من دون أن ينكسر، حتى إذا ما انحسر الفيضان واكتمل بعث مصر تعود البلاد مأهولة كما كانت.

وتستمر معنا الأسطورة بموت الملك سوريد ودفنه بالهرم الشرقي (الهرم الأكبر) بينما دفن أخوه "حوريب" في الهرم الغربي (هرم خفرع) أما ابن حوريب ويدعى كاروراس فقد دفن في الهرم الأخير. ويمكن تحليل شخصيات تلك الأسطورة بأن سوريد الملك هو سوفيس والذي كان اسم الملك خوفو في العصر المتأخر، بينما كان كاروراس هو ميكرينوس أي منكاورع باليونانية، في حين أن أمسوس ما هي إلا تحوير لاسم العاصمة منف.

ويوافق المسعودي رأي المقريزي بأن الهرم "يحوي معرفة أسرار الفلك وحركة الكواكب والأفلاك في دوراتها ومداراتها وعلاقاتها بدورة الأحداث في العالم بالماضي والحاضر ونبوءات المستقبل، فشكل الهرم وأبعاده ومقاساته وتفاصيله الهندسية قد خططت بدقة متناهية تعبر عن القواعد الأساسية لتوازن الطبيعة ونظم الفلك والتنجيم"، كما يتفق الرحالة أبو الصلت في فكرة بناء الهرم لحماية العالم من الطوفان قائلاً "زعم نفر من الناس أن هرمس الأول المدعو بالمثلث (النبوة والملك

والحكمة)، وهو الذي يسميه العبرانيون خنوخ بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن آنوش بن شيث بن آدم، وهو إدريس، واستدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان يعم الأرض، فأكثر في بنيان الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم، وما يشفق عليه من الذهاب والدروس حفظا لها واحتياطاً عليها"، وأن "هرما الجيزة هما مقبرتا كل من هرمس والبطل الأسطوري أجاثوديمون، بينما كان الهرم الثالث لصاب بن هرميس".

ويتحد أبو الصلت مع خرافة المقريزي في قوله "إن الذي بناها ملك اسمه سوريد بن سهلوق بن سرياق"، ويتفق مع المسعودي في قوله أن الذي بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط: شداد بن عاد، وتحقق أن بانيها سوريد لرؤيا رآها وهي آفة تنزل من السماء، وهي الطوفان"، ويذكر ابن عفير أنها من بناء "جياد بن مياد بن شمر بن شداد بن عاد ابن عوص بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام"، بينما نجد ابن حوقل يناقش ما قيل عن الأهرام فيقول "وقد ذكر قوم أنهما قبران وهما ليسا كذلك وإنما حدا بصاحبهما أن عملهما أنه قُضي بالطوفان وهلاك جميع ما على وجه الأرض إلا ما حصن في مثلهما فخزن ذخائره، وأمواله فيهما وأتى الطوفان، ثم نضب فصار ما كان فيهما إلى بيصر بن نوح". بينما ذكرهما البيروني في قوله " أن أهل المغرب لما أنذر به حكماؤهم (أي الطوفان) فبنو أبنية كالهرمين المبنيين في أرض مصر، إذا كانت الآفة من السماء دخلناها، وإذا كانت من الأرض صعدناها، فزعموا أن آثار ماء الطوفان، وتأثيرات الأمواج بينة على أنصاف هذين الهرمين لم يجاوزهما".

ويتضح لنا مدى تأثير القصص الديني على الناس في وصف طبيعة الهرم وخاصة قصة الطوفان، وإن كان يختلف المؤرخون العرب عن نظرائهم الإغريق والرومان في رؤيتهم لفائدة الهرم، فقد اعتبروه ملجأً لحماية علومهم السرية

وأسرار معرفتهم وخلاصة فنونهم وأموالهم وذهبهم، وادخروها لمن يأتي بعدهم وينجح في حل طلاسمها وقراءة رموزها، مما يعني أنهم وصلوا إلى قدر من الحكمة والعلم لم يتسن لغيرهم من الأمم، وهو ما ينفي نظرتهم لكون ملوك المصريين جبارين وطغاة استعبدوا شعوبهم وسخروهم فيما لا فائدة منه من أجل مجد شخصي كما ادعى الإغريق والرومان، وإنما كان في مخيلتهم أن الهرم الأكبر صرحاً عظيماً يخدم الإنسانية.

وقد انتشرت بين المؤرخين القدامى خرافة تنص على أن واجهات الهرم الأكبر كانت مكسوة بطبقة من الحجر الأملس المصبوغة باللون الأحمر، وتمتلئ الكسوة الهرم وممراته الداخلية بالنقوش والطلاسم باللونين الأسود والأبيض، حيث يذكر المؤرخ اليهودي يوسيفوس مع أواخر القرن الأول الميلادي أن الهرم كانت واجهته مطلية باللون الأحمر تغطيها نقش ورموز جعلته أشبه بالمزولة ليتبين منها مقياس الفيضان.

ويأتي عبد اللطيف البغدادي ليصف لنا حال الهرم بأن الناس كانوا يدخلون إليه من خلال ذلك الممر الذي فتحه الخليفة العباسي المأمون، وأنه دخل بنفسه جزءً منه ولكنه من التعب وشدة الفزع عاد نصف ميت. كما ذكر أن الهرمين كانا "مغطان بأحجار ملساء عليها نقوش وطلاسم لم يجد في مصر من يعرف منها شيئا تصل إلى عشرات الألوف من الصفحات"، يحتمل أن تكون كتابات الرحالة والمعروفة باسم "الجرافيتي" وليست نقوش هيرغليفية، وهو ما يقاربه ما ذكره المؤرخ أبو زيد البلخي.

ويذكر القزويني أن "من الناس من يزعم أن إدريس أمر ببناء الأهرام وإيداعها الأموال وصحائف العلوم؛ احتياطا عليها وحفظا لها، ومنهم من قال إنما عملوها خوفاً من الطوفان"، بينما ينص السيوطي بأن الهرم "فيه أخبار الكهنة في توابيت

من صوان أسود، مع كل كاهن مصحفه وفيها عجائب صنعته وحكمته وسيرته وما عمل من العلوم الغامضة والطلسمات ودونوا به ما كان وما سيكون من أول الزمان وحتى آخره". أما الجاحظ فيذكر أسرار الهرم بأن قال "به سبعة دهاليز وكل دهليز على اسم كوكب من الكواكب السبعة، وجدرانها منقوشة بعلوم الكيمياء والسيمياء والطلسمات والطب، ويقال أنه كان به جميع ما يحدث في الزمان حتى ظهور الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) وأنه كان مصوراً فيها راكباً ناقة؟".

ويعود لنا كل من المقريزي والتلمساني بعدة روايات خرافية عن الاهرام والتي يبدو أنها بحواديتها العجيبة ورواياتها الأسطورية قد شغلت باله فجمع أخبارها وملأ كتبه بقصصها، ومنها أن لكل هرم روح حارسة تحميه، "..فوكّل بالهرم البحري (الأوسط) روحانيا في صورة امرأة عريانة لها ذوائب تصل إلى الأرض، فإذا أرادت أن تستفز الإنسي ضحكت في وجهه وجرّته إلى نفسها، فتطعمه وتسخر به، وحكى من رآها عريانة عند هذا الهرم أنه امتلاء قلبه رعباً, وعدل عنها ولم يكلمها ولم تكلمه، ووكّل بالهرم الذي إلى جانبه (الأكبر) روحانياً في صورة غلام أمرد أصغر عرياناً، وذكر جماعة أيضا أنهم رأوه على جانبه مرة بعد مرة، ثم يغيب عنهم، ووكل بالثالث وهو الصغير روحانياً في صورة شيخ في يده مبخرة، وهو يبخر بها، وعليه ثياب الرهبان، ذكر قوم من أهل الجيزة أنهم رأوه مرات في أطراف النهار، فإذا قربوا منه يغيب عنهم، ولم يظهر فإذا بعدوا عنه عاد إلى حالته التي كان عليها.." كما يذكر ضمن روايته عن الهرمين بأن الفراعنة قد خصصوا االهرم الاكبر للفلك والثاني للطب والعلاج.

ويخرج المقريزي برواية أخرى قصّها عن الهرم مفادها أن عشرين شاباً أرادوا اقتحام الهرم والوصول إلى الحجرة السفلية فتزودوا بالطعام والشراب والحبال والمسارج ثم دخلوا الهرم واستطاعوا الوصول إلى الممر الهابط حيث الخفافيش

تحلق فوق رؤوسهم وهي في حجم الصقور، لكنهم استطاعوا الوصول إلى فتحة أتت منها رياح باردة أطفأت نيران مسارجهم، وبالنزول إلى تلك الفتحة رأوا حجراً عظيماً من الأحجار الثمينة اعتقدوا أنهم سوف يجدوا جسد الملك وكنوزه خلفه فقاموا بربط أحدهم وأسقطوه إلى الأسفل ولكن انهارت جوانب الفتحة عليه وسمعوا صرخاته مع صوت عظامه المهشمة حتى أدركهم صوت رهيب جعلهم يغشى عليهم، وبمجرد استعادتهم وعيهم خرجوا مسرعين في فزع شديد جعل بعضهم يسقط في ظلمة الفتحة ويفقد حياته، ومن نجى منهم خرج خارج الهرم وجمعوا أنفسهم للتغلب على فزعهم، ولكن فجأة خرج عليهم صاحبهم الذي سقط في الفتحة وهو يتلفظ بكلمات غير مفهومة ثم مات. فذهب رفقائه إلى أحد الحكماء من صعيد مصر ليسألوه عن معنى ما قاله صديقهم قبل موته، فرد الحكيم بأنها تعني هذا جزاء من يبحث عما ليس له..

ويقرر أبو الصلت "أن الأهرام والبرابي فإنها من الآثار التي حيرت الأذهان الثاقبة واستعجزت الأفكار الراجحة، وتركت لها شغلا بالتعجب منها والتفكير فيها"، ولم يختلف عنه الهروي عن ذلك القول حيث قال "الأهرام من عجائب الدنيا وقد اختلفت الأقاويل بين الناس فيها، وفيمن بناها وما أريد بها"، وأجمل المقدسي الآراء التي دارت في عصره حولها فقال "سمعت في الأهرام أشياء مختلفة؛ فمنهم من قال: هما طلسمان ومنهم من قال: كانتا أهراء [1] يوسف، وقيل بل كانت هي قبورهم وقرأت أنهما للرمل المحبوس"، ويستقر رأي المقدسي على أنهما مقابر "وهكذا للناس في أمرها اختلاف: فمنهم من يجعلها قبوراً لعاد وبنيه ومنهم من يزعم غير ذلك"، وهو يشابه ما كتبه المسعودي في أن الهرمين الكبيرين بالجيزة هما مقبرتي ملوكها الأوائل شداد وشديد بن عاد.

1) بيوت كبيرة يحفظ بها الغلال ومفردها هري.

علاقة الهرم بالنبي يوسف:

في أوروبا خلال العصور الوسطى، كانت قصص العهد القديم عن النبي يوسف في مصر لها انتشار واسع وتأثير كبير. فبعد فشل الحملات الصليبية على الشرق، عادت إلى أوطانها محملة بالقصص والحواديت فيما شاهدوه من عجائب الآثار خاصة الهرم الأكبر، وتحول حجاج بيت المقدس إلى سياح وزوار لمنطقة الجيزة، وشاعت فكرة أن الأهرام كانت مخازن الغلال التي بناها النبي يوسف حين كان عزيزاً لمصر لمكافحة المجاعة والقحط، فكان أول ظهور لها خلال القرن الخامس على يد كل من الرحالة جوليوس هورينيس والمؤرخ تيرانوس روفينوس. أما في كنيسة سان مارك بالبندقية والتي ترجع للقرن الحادي عشر الميلادي، فقد رُسمت قصة يوسف بالفسيفساء داخل القبة الثالثة بالرواق الشمالي للكنيسة، حيث نجد النبي والوزير يوسف يقف وسط رجاله يشرف على تخزين الغلال بينما تظهر الغلال مخزنة داخل خمسة أهرام لها نوافذ مربعة. واستمرت تلك الفكرة الخرافية في التراث الديني المسيحي حتى القرن السادس عشر الميلاد [2].

ويتفق المؤرخون العرب مع الأوروبيين في نفس الفكرة، حيث عبر عنها البيروني قائلاً " قيل أن يوسف جعلهما هرياً وجعل فيهما الطعام والميرة لسني القحط"، بينما اعتمد المسعودي في ما ذكره عن الأهرام وعلاقتها بالنبي يوسف على جماعة من رواة التاريخ الشفاهي الشعبي في قوله "فإني سمعت جماعة من أهل الخبرة يخبرون أن يوسف النبي حين بنى الأهرام اتخذ مقياساً لمعرفة زيادة النيل".

---

2) Lehner., Mark. Complete Pyramids. p.42

الهرم والفلك:

رحلت الحملة الفرنسية عن مصر بعد أن قام علماؤها بعمل مسح لجميع آثار مصر ودراستها حتى وإن كانت بطريقة غير دقيقة بما فيها الهرم الأكبر، وجاء من بعدهم في القرن التاسع عشر كل من عالما الفلك الإنجليزيان هيوارد فيز وبياتزي سميث والذان اعتقدا بأن الهرم هو مرصد فلكي ولا علاقة له بالأسرة الرابعة أو الملك خوفو، وادعيا أنه من إنشاء كهنة معبد أون من الأسرة الثانية، وجاء من بعدهما ريتشارد بروكتور في عام 1880 ليعرض علاقة الهرم كمرصد فلكي بما ورد في مخطوطات علم الفلك في الأديان القديمة، وهو ما يدعيه بالقرن العشرين الدكتور سيد كريم، حيث يعتقد بأن هذا الهرم ما هو إلا مرصد فلكي أعده المهندس والفلكي العظيم إيمحوتب، حيث يربط بينه وبين معمار الهرم المدرج باعتباره سلالم للصعود إلى عرش السماء.

ولم يكن هذا الاعتقاد في العصر الحديث فقط، لكنه ظهر منذ العصور القديمة، حيث زعم الفيلسوف الروماني بروكلوس أن هرم خوفو كان مرصداً فلكياً، حيث اعتقد أن الهرم قد بني على مرحلتين: الأولى كمرصد للفلك وعلوم التنجيم الخاصة برب الشمس، حيث ذكر بكتاب هرمس أن "تحوت أمر ببنائه في موقع اختاره على الهضبة لتحفظ به أسرار الكون ويتلقى به كهنة الشمس رسالة الرب". أما المرحلة الثانية فكانت على يد الملك سوفيس (خوفو).

ويعود سيد كريم في خرافته في نفي بناء الملك خوفو للهرم الأكبر ونسبه لإيمحتب بادعائه أنه لا يوجد ملك يسمى خوفو بين قوائم الملوك، ولكن كلمة خوفو ليست اسم ولكنها صفة من صفات الجلالة وتعني جل جلاله، بينما اسم الملك هو خنوم خوفوي فيعني اسمه الرب خنوم جل جلاله! وهذا التفسير خاطئ تماماً لأن اسم خوفو هو أحد أسماء الملك وقد ظهر بصيغة مختصرة داخل إحدى

مقابر الجبانة الشرقية بهضبة الجيزة وبقائمة الملوك بأبيدوس وعلى بعض تمائم العصر المتأخر، وهو يتكون من الفعل "خوي" ويعني يحمي والضمير المتصل "ف" والضمير المتعلق "وي"، وبالتالي يصبح نطق الاسم خنوم خوفوي أي الرب خنوم يحميني [3].

كيف بُني الهرم الأكبر؟

نظراً للاتقان الشديد والتعقيد الكبير في عملية بنائه، ظل السؤال عن كيفية بناء الهرم يستحوذ على عقول الكثير من الرحالة والمؤرخين والعلماء عبر القرون إلى يومنا هذا، وانتشرت بينهم العديد من الآراء والأفكار حول بناء الأهرام. ومن المعلوم لدينا أن بناء الهرم قد استغرق نحو 20 عاماً اشترك في بنائه نحو عشرين ألفا إلى ثلاثين ألفا من العمال المجلوبين من جميع أنحاء البلاد خلال فترة الفيضان التي تبلغ 3 أشهر، وهي النظرية التي اتبعها الملك خوفو من أجل الحد من البطالة واستثمار الفلاحين خلال فترة توقف الزراعة.

وقد حاول الرحالة والمؤرخون وضع عدة تفسيرات من وجهة نظرهم حول وسائل بناء الهرم، حيث أبدى أبو الصلت إعجابه الشديد بتقنية بناء الهرم وما وصل إليه المصريون القدماء من تقدم في علم الهندسة فيقول "كان فيهم (المصريون) طائفة من ذوي المعارف والعلوم خصوصاً بعلم الهندسة والنجوم. ويدل على ذلك ما خلفوه من الأشغال البديعة المعجزة؛ كالأهرام والبرابي، فإنها من الآثار التي حيرت الأذهان الثاقبة واستعجزت الأفكار الراجحة وتركت لها شغلاً بالتعجب منها والتفكير فيها"، في حين علق ابن جبير على قوة بناء الهرم وصلابته فيقول "قد أقيمت من الصخور العظام المنحوتة، وركبت تركيباً هائلاً، بديع الإلصاق، دون أن يتخللها ما يعين على إلصاقها". ولدينا حالياً الآلاف من

3) عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، صـ 294

النظريات التي تتبنى عملية بناء الهرم، لم نجد من الدلائل الأثرية ما يجزم بها، مما يجعلها نظريات تحتمل الخطأ والصواب، ومنها ما يرتقي لمستوى التفكير بها ومناقشتها ومنها ذات الخيال الجامح البعيدة عن المنطق والأقرب للخرافة. ويمكن أن نلخص أشهر وأبرز نظريات واحتمالات بناء الهرم على مدار التاريخ:

-نظرية هيرودوت والتي سمعها من أحد الأفراد بالقرب من الهرم وتشير إلى بناء مرتفع رملي بجوار الهرم يرتفع مع ارتفاعه وتجر عليه أحجار الهرم عن طريق عروق خشبية ثم ترفع بواسطة آلات خشبية عند كل طبقة من طبقات الهرم أو وجود آلة واحدة كبيرة يسهل نقلها مع الارتفاع بكل طبقة. وإذا ما وافقنا هيرودوت في روايته بوجود آلات خشبية لكل طبقة ولكل حجر، فهذا الأمر يحتاج إلى كميات مهولة من عروق الأخشاب لا يُعتقد توافرها في مصر خلال تلك الفترة، كما أنه ادعى أن تلك العملية استمرت نحو ثلاثين عاماً في حين أنه من المعروف أن الملك خوفو حكم لمدة 23 سنة فقط [4].

-نظرية تيودور الصقلي والتي تقبلها في القرن العشرين كل من المعماريان "جورج كلارك" و"رينالد انجلباخ" وهي شبيهة بنظرية هيرودوت حيث أشار إلى وجود جسور أو طرق صاعدة يتم دحرجة الأحجار عليه بواسطة جذوع الأشجار، إما طرق عريضة كانت تستخدم لإمداد عملية البناء بالأحجار ومواد البناء وكانت ذات زاوية انحدار بسيطة، أو طرق صاعدة قصيرة شديدة الانحدار كانت تستخدم لإحضار المواد والقطع الأخف وزناً [5].

-نظرية تشير إلى توصل المصريين القدماء لاستخدام تقنية تقطيع الأحجار بموجات فوق الصوتية وذلك من خلال طلي أحجار الأهرام بالفضة ومن ثم تصطدم الرياح بالمعدن فتحدث موجات فوق صوتية تمكن من تقطيعها، وهي

4) احمد فخري، الاهرام المصرية. صـ 175

5) S.Clarke and R. Engelbach., Ancient Egyptian Masonry. Pp117-29.

نظرية بعيدة تماماً عن الصحة، حيث أثبتت المناظر أن المصريين القدماء قاموا بنحت وتقطيع الأحجار بسواعدهم عن طريق أزاميل وشواكيش، ولم يعرف أبداً أنهم قاموا بطلاء الأهرام بالفضة، ولكن غطوا قمة الهرم بطبقة من الذهب.

-نظرية الدكتور مصطفى محمود حيث رأى اعتماد الكهنة على تسخير علوم الكيمياء والفيزياء والطبيعة في رفع الأحجار وإبطال الجاذبية الأرضية. وقد سبقه في هذا الاعتقاد المؤرخ بلليني في كتابه التاريخ الطبيعي حين قال أن الفراعنة لهم قدرة عجيبة على رفع الأحجار والمعادن وتركها معلقة في الفضاء، بينما آمن الرحالة العرب باستخدام المصريين القدماء لقوى السحر في بناء هذا المبنى العجيب، فقد وصف الرحالة العبدري بناء الأهرام بقوله "على شكل مخروط وليس لها باب ولا مدخل، ولا يعلم كيف بُنيت"، أما المسعودي فقد ذكر في مخطوطاته أن "حجر الهرم كان يوضع فوق أوراق من البردي عليها نقوش سحرية، فإذا طرق على الكتلة الحجرية انتقلت وحدها مسافة طلقة سهم".

-نظرية المهندس الفرنسي جان بيير هودين، وهي النظرية الأحدث والتي أعلنها عام 2008، حيث تنص على أن الهرم قد تم بناءه من الداخل إلى الخارج، حيث أشار إلى وجود منحدرات حلزونية حول نواة الهرم والتي من خلالها تم دفع الأحجار بينما وُضِعَت حجارة الكساء الخارجي كبيرة الحجم في الخارج باستخدام سقالات، حيث تصور هودين أن المصريون القدماء صنعوا منحدرًا خارجيًا أول بطول 40 متر يقع خلف الطبقة الخارجية بمسافة تتراوح بين 10 أمتار و15 مترا، ثم أنشأوا منحدراً داخلياً لإكمال هيكل الهرم. ولإثبات صحة نظريته، تعاون هودين مع شركة "أنظمة داسولت Dassault Systèmes " الفرنسية والتي تقوم ببناء نماذج ثلاثية الأبعاد لتصميمات السيارات والطائرات، من أجل بناء نموذج ثلاثي

الأبعاد للهرم من الداخل، وعمل 14 مهندسًا لمدة عامين لبناء النموذج، باستخدام الرادارات وكاميرات الرصد الحرارية [6].

من بنى الهرم؟

من الخرافات المنتشرة حول العالم فيما يخص بناء الهرم، والتي للأسف يصدقها الكثير دون عناء البحث العلمي أو الالتجاء لمصادر التاريخ، هي نفي قيام المصريين القدماء ببناء هذا المبنى الرهيب، ونسب هذا الإعجاز لأقوام ليس لهم أدنى علاقة بالهرم الأكبر أو الحضارة المصرية من الأساس.

بنو إسرائيل:

من أشهر الادعاءات حول هوية بناة الهرم الأكبر، هي نسبها لبني إسرائيل أو اليهود وأنهم أصحاب المجهود الحقيقي في قيام العمارة المصرية القديمة بعد قرون عاشوها بين المصريين في ذل وسخرة، وهو ادعاء يسوقه المنتمون لهذا الفكر من علماء آثار وسياسيين بكثافة، معتمدين على بعض آيات العهد القديم مثل ما ذكر في سفر الخروج (13:1 فاستعبد المصريون بني إسرائيل بعنف، 1:14 ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين وفي كل عمل في الحقل، كل عملهم الذي عملوه بواسطتهم عنفاً). بينما انبرى المؤرخ اليهودي يوسيفوس في التأكيد على أن قومه قد تعرضوا للسخرة في بناء الهرم قائلاً " لكي يستمتع المصريون بحفر عدد عظيم من القنوات على النهر ولكي يبنوا الجدران لمدنهم فإنهم لا يتورعون عن تحويل مجرى النهر وتحويل مياهه، كما استغلوهم أيضاً في بناء الأهرام".

وقد ازداد هذا الادعاء الكاذب في العصر الحديث عندما جاء مناحيم بيجن

6) https://www.3ds.com/passion-for-innovation/khufu-reborn/khufu-reborn/

رئيس وزراء إسرائيل الأسبق لزيارة مصر في سبعينيات القرن الماضي؛ وقبل أن يصل أعلن وهو في مدينة نيويورك أنه سعيد لأنه سوف يزور الأهرامات التي بناها أجداده!. وقد قوبل هذا التصريح المضلل بموجة من الغضب الشديد من قبل العديد من علماء التاريخ والآثار داخل وخارج مصر في دلالة واضحة على رفض المثقفين تزييف اليهود للتاريخ.

وأصبح لأفلام هوليوود دوراً شديد الخطورة في تبني والترويج لتلك الفكرة، وهو ما ظهر في العديد من الأفلام مثل فيلم "The Ten Commandments" من إنتاج عام 1965 وفيلم الكارتون " Prince of Egypt" من إنتاج عام 1998 وفيلم "The Mummy" من إنتاج 1999 وفيلم "gods and kings" من إنتاج 2014، حيث أنه من خلال الإنتاج الضخم والتكاليف العالية والإمكانيات الكبيرة لتلك الأفلام من حيث التصوير والإخراج والمؤثرات السمعية والبصرية فإنها ترسخ فكرة فضل بني إسرائيل في بناء الأهرام والحضارة المصرية القديمة في أذهان المشاهدين حول العالم وعلى مدار أجيال.

ويعمل حالياً علم آثار الكتاب المقدس Biblical Archeology على ترسيخ دور بني إسرائيل التاريخي في منطقة الشرق الأوسط بما فيها دورهم في مصر القديمة والكشف عن آثارهم بالمنطقة والترويج لفكرة بنائهم للهرم الأكبر وعناصر الحضارة المصرية القديمة معتمدين على العهد القديم كمصدر أساسي للتاريخ.

<u>ويمكن الرد على تلك المزاعم في عدة نقاط أساسية:-</u>

-تشير الأدلة الأثرية والتاريخية على احتمالية دخول بني إسرائيل مصر مع النبي يوسف في عهد الهكسوس 1650 ق.م في حين شيدت أهرام الجيزة خلال الدولة القديمة في 3200 ق.م أي إن الفارق الزمني بينهما أكثر من 1500 سنة، أي أن تشييد الأهرامات قد حدث قبل أن يظهر بني اسرائيل على أرض الشرق الأدنى.

-توضح آيات سفر التكوين أن بني إسرئيل تم تسخيرهم في بناء مدينتي "رعمسيس"[7]، و "فيثوم"[8]، واللتان شيدتا من الطين أو الطوب اللبن المخلوط بالتبن، وهي الصنعة التي احترف بنو إسرائيل البناء بها، ولم يعرفوا البناء بالأحجار، ولم يرد استخدامهم للحجارة في البناء، سواء في أهرامات أو مقابر ملكية أو أبنية حجرية أو غيرها، كما أن نقاط تجمعهم كانت في منطقة الدلتا أو في أسوان والتي تبعد كيلومترات عن منطقة الجيزة وسقارة التي بنيت فيها الأهرامات.

-حين خرج بنو إسرائيل من مصر رحلوا بكامل ثرواتهم وعلومهم وخبراتهم في البناء والتشييد واستقروا في بلاد الشام وأسسوا مملكة إسرائيل الموحدة على يد النبي داوود ومن بعدها مملكتي إسرائيل ويهوذا، فلماذا لم يبن بني إسرائيل مثل تلك الأهرام ولو بشكل مصغر في مملكتيهم بعد خروجهم من مصر؟! حيث لم نعثر على أثر لأي هرم في منطقة الشام يدل على وجوده، على عكس ما رأينا من أهرام ترجع للحضارة الكوشية في مدن نبتة ومروى ونوري جنوبي مصر والتي وصل عددها إلى نحو 350 هرماً تأثراً بالعقائد المصرية القديمة رغم اختلافها في الحجم.

-أكدت النصوص التوراتية حسن المعاملة لبني إسرائيل في مصر خاصة في عهد النبي يوسف واعتلائه أعلى المناصب، حيث يذكر سفر التكوين استيطان يعقوب وبنيه في أرض جاسان ذات الموارد الطيبة بدعوة من ابنه يوسف الصديق (6:47 أَرْضُ مِصْرَ قُدَّامَكَ. فِي أَفْضَلِ الأَرْضِ أَسْكِنْ أَبَاكَ وَإِخْوَتَكَ، لِيَسْكُنُوا فِي أَرْضِ جَاسَانَ. وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يُوجَدُ بَيْنَهُمْ ذَوُو قُدْرَةٍ، فَاجْعَلْهُمْ رُؤَسَاءَ مَوَاشٍ عَلَى الَّتِي لِي)، وعندما مات يعقوب أمر يوسف بتحنيط جثمانه على الطريقة المصرية مما يدل على تسامح المصريين في عقائدهم مع بني إسرائيل وعدم احتكارها على أنفسهم، مثلما نص عليه سفر التكوين (50: 2 وَأَمَرَ يُوسُفُ عَبِيدَهُ الأَطِبَّاءَ أَنْ يُحَنِّطُوا أَبَاهُ.

---

7) مدينة قنتير بمحافظة الشرقية.

8) يعتقد أنها مدينة تل المسخوطة حالياً بمحافظة الإسماعيلية.

فَحَنَّطَ الأَطِبَّاءُ إِسْرَائِيلَ)، وهو ما ينفي سخرة بني إسرائيل وسوء معاملتهم كعبيد. وسار في موكبه من مصر إلى كنعان عبيد فرعون وشيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر كما انطلق بمركبات وفرسان كأنه جيش عظيم، فإذا ما أمر يوسف خدمه بالسير في موكب أبيه فإنه لم يأمر سادة مصر وشيوخها، لكنهم خرجوا تكريماً ليعقوب مما دل على مكانته ومكانة بني إسرائيل بين المصريين.

قوم عاد:

انتشر ادعاء غريب مفاده أن بناة الأهرام هم قوم عاد وليسوا المصريين القدماء، وهو الادعاء الذي تبناه أحد الباحثين ويدعى محمد سمير عطا في كتابه (الفراعنة لصوص حضارة)، وهو عنوان مهين للحضارة المصرية القديمة، حيث اعتمد في ادعائه على كبر حجم أحجار بناء الهرم والتي تتطلب أشخاصًا بأحجام غير عادية وهو ما يتمثل في قوم عاد من ضخامة أجسادهم وقوة بنيانهم، وأن الآثار المصرية بشكل عام والأهرام بالأخص كانت مدفونة في الرمال وهو أمر شبيه بمصير قوم عاد الذين هلكوا بريح عاتية دفنتهم، مستنداً على ما ذُكر من أقوال المؤرخين العرب والمسلمين كما ذكرنا سلفاً، بينما جاء الاعتماد الأكبر بالقرآن الكريم باعتباره مرجعاً تاريخياً وخاصة من آيات سورة الفجر: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ ومن سورة الشعراء ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ والريع هو المكان المرتفع من الأرض، حيث أن النبي هود عليه السلام قد عارض قومه بتركهم الإيمان بالله وانشغالهم ببناء أبنية ضخمة كالجبال على المرتفعات لمجرد التفاخر، حيث تنطبق هذه الأوصاف على الأهرام باعتبارها بناءً ضخما كالجبل مبنيا على مرتفع نطلق عليه الآن هضبة الأهرام، ويتجه إلى تفسير كلمة "إرم" بأنها تحريف

لكلمة "هِرم" في العربية الفصحى وتحولت إلى "هَرم" في العربية العامية، وبالتالي يصبح تفسيره للآية الكريمة بأن عاد بناة الأهرام ذات القمم المدببة!

ويدّعي سمير عطا أن حضارة قوم عاد قد سبقت الحضارة المصرية القديمة وهي التي خلفت لنا الأهرام والمسلات والمعابد الضخمة، بينما اعتادت الحضارة المصرية القديمة "سرقة" ما قبلها من حضارات ومحو كتاباتها، حيث أضاف المصريون القدماء من بعدهم صناعة التوابيت والحلي والأبنية المتواضعة بالإضافة إلى بعض الإضافات على منشآت قوم عاد التي سرقوها منهم ونسبوها لأنفسهم مثلما فعل المسيحيون الأوائل من محو العلامات الهيروغليفية من معبد إدفو أثناء اختبائهم فيه إبّان الاضطهاد الروماني!

ويتساءل سمير عطا وغيره من أفراد هذا الاعتقاد بأنه لا يوجد أي اسم لملك داخل الهرم وهل يُعقل أن الفراعنة الذين نقشوا وزخرفوا أحجار كل المعابد ولم يتركوا حجرا إلا ونقشوا عليه ونسبوه إلى ملوكهم، نسوا أن ينقشوا داخل الأهرام معجزة العمارة المصرية القديمة والعالم أجمع اسم صاحبه؟ وما يزيد من اعتقادهم هو أنه لم يعثر على أية مومياء لملك داخل الهرم.

ولكن مع فحص الهرم من الداخل والخارج، يتأكد لنا بطلان هذا الاعتقاد الفاسد بشكل قاطع، فإذا ما ادعينا بأن أفراد قوم عاد البالغ طولهم أكثر من 10 أمتار هم بناة الهرم، فكيف لهم أن يسيروا بداخل البهو العظيم وهو أكبر ممرات الهرم من الداخل وارتفاعه لا يزيد عن 8 أمتار فقط، بينما يبلغ ارتفاع حجرة دفن الملك حوالي 6 أمتار. وقد عثر زاهي حواس على اسم الملك خوفو مرسوم بالحبر الأحمر داخل الهرم الأكبر على أحجار الحجرات الخمس التي تعلو حجرة الدفن الرئيسية مسجلاً إما أسفل أو خلف الحجر حتى بطريقة معكوسة وهو ما يعني أنها كتبت قبل استخدام الأحجار في البناء أي في المحاجر نفسها، كما ترك عمال بناء

الهرم أسماء جماعاتهم التي شاركت في البناء على أحجار الحجرات الخمس مثل جماعة "أصدقاء خوفو" [9].

أما عن عدم العثور على مومياء داخل الهرم، فإنه رغم قيام الملك بهذا العمل المعماري المهول لحماية مومياته وكنوزه من السرقة والنهب، إلا أن اللصوص عبر فترات الاضطراب بمصر القديمة نفسها تمكنوا من دخول الهرم وسرقته واحتمال سرقة أو تلف مومياء الملك خوفو، حيث تذكر لنا بردية الحكيم إيبور ما حدث من كوارث خلال ثورة الشعب إبّان عصر الانتقال الأول بسبب انتشار الفقر وضعف سيطرة الدولة والتي استمرت نحو 125 سنة) -2181 2055 ق.م): "فقد انتزعت مومياوات علية القوم من مقابرهم وألقيت في الطريق العام.. واغتصب الفقراء القبر الملكي.. وأصبح الملك الذي دُفن كصقر يرقد على نعش مكشوف.. وما خبأته الأهرام قد خلى..وأظهر الناس العداء للملك الذي جعل الأرضين في سلام.. وأفشيت الأسرار الملكية وصار مقر الملك رأسا على عقب.." [10]

وحين نرجع لقوم عاد، نجد أنهم قوم سكنوا الجزيرة العربية تحديداً في المنطقة الواقعة بين اليمن وعُمان، حيث يذكر الله في آياته من سورة العنكبوت ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ وهو ما يدل على وجود مساكنهم بالقرب من أهل الحجاز كي يتم الاستدلال عليهم وقت نزول القرآن، وليس مصر التي لم تكن مساكنها الدنيوية آثاراً باقية مثل معابدها ومقابر ملوكها.

---

9) زاهي حواس، أهرامات مصر: المجموعة الهرمية للملك خوفو، صـ 61

10) سليم حسن، الادب المصري القديم جـ 17 صـ 261-260.

الفضائيون وقارة أطلانتس:

انتشرت تلك الفرضية الكاذبة والتي تدعي وصول أقوام من الفضاء أو أفراد من قارة أطلانتس المفقودة لبناء الحضارة المصرية القديمة وتشييد الأهرام، مستندين على عدم وجود أية برديات تؤكد تخطيط وهيكلة بناء الهرم. ولأن وزن الحجارة يزيد عن طن، فيمكن لكائنات فضائية نظراً لما توصلوا إليه من تكنولوجيا فائقة أن يشاركوا في معجزة رفع تلك الأحجار الضخمة وبناء الهرم، بالإضافة إلى أن التكوين الفلكي لهيكل الهرم وتماشيه مع نجوم أوريون أو"حزام الجبار الثلاثة" [11]، والتي تمثل أساس التوازن في مجرة درب التبانة، يظن كثيرون أن الفضائيين ضضعوا الأهرامات بهذا الترتيب، كما زاد هذا الافتراض ما أطلقه موقع "Mysteri-ous Universe" العلمي حيث أشار إلى معلومات جديدة تفيد أن باحثين عثروا على حصى فريدة من نوعها وتعرف باسم حجر "هيباتيا"، وما يميز الحصى هو احتوائه على نسبة أكبر من الهيدروكربونات عكس مكونات الحصى على كوكبنا، وأعاد عالم الجيولوجيا جورجي بيليانين من جامعة جوهانسبرج الحصى إلى أزمنة قبل ولادة الشمس، والتي تختلف قليلًا عن تركيب حصى النيازك والكواكب، مما يزيد من احتمالية قيام كائنات فضائية ببناء الهرم.

ولم يبخل عنا الهرم بكشف أسراره التي لا تنتهي، ففي عام 2017 تم الكشف عن تجويف فارغ داخل جسم الهرم بواسطة فريق فرنسي ياباني مشترك مستخدمين تقنية الميوجرافي Muography والتي تستشعر تغيرات الكثافة داخل تركيبات الصخور الضخمة باستخدام الجزيئات الأولية، وهذا التجويف أعلى البهو الكبير بطول حوالي 30 م أي بحجم طائرة ركاب. ولكن هذا الكشف لم يمر مرور الكرام على مدعي علاقة الهرم بالفضائيين، حيث يرى البعض أن هذا الفراغ الضخم

---

11) هي عبارة عن حزمة نجوم كان لها شهرة بالغة في الملاحة والترحال ونسج حولها العديد من الأساطير في العالم القديم.

كان مخصصا لتصنيع عرش حديدي تمت هيكلته وصناعته من النيازك التي كانت تتساقط من السماء، وتم وضع هذا العرش الحديدي في الغرفة العملاقة السرية التي تم الكشف عنها حيث يمكن لهذا العرش الحديدي أن يصعد بالملك إلى النجوم، مستندين على ما ذكر في النصوص الدينية برحلة الملك إلى النجوم الشمالية بالعالم السماوي.

وهناك اعتقاد آخر يربط بين الهرم وبين سكان قارة اطلانتس الخرافية، حيث يعتقد القدماء بوجود القارة المزعومة وأنها كانت مصدر القوة على الأرض وحكمت العالم لفترات طويلة، حيث أن أفراد تلك الحضارة الغائبة قد بنوا الهرم في عام 10500 ق.م وعاشوا نحو 10000 أو 15000 عام، قبل أن تختفي حضارتهم لأسباب غامضة.

وظلت تلك القصص تتناقلها الأجيال حتى حدثت الاكتشافات الأثرية الجديدة وأهمها اكتشافات مدينة طروادة الأسطورية - التي انتشرت حولها كتابات هوميروس وتناولت الحروب وصراعات بعض أرباب الإغريق وأبطالهم- حيث وُجدت في أعماق البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي، فبدأ الاعتقاد بأن أطلانتس هي الأخرى حقيقة وأنها اندثرت بالفعل إما بطوفان عارم أو زلزال مدمر خاصة بعدما كتب عنها أفلاطون في محاوراتيه "ألتيمايوس" و"كريتياس"، ووصفها بأنها "قارة كان يقطنها كثير من البشر وكانوا يملكون من العلم مالم يتوصل إليه أحد من البشر، وكانوا متقدمين فى علوم الفلك وعلوم الهندسة والرى وكان لا يضاهيهم فى تلك الفترة أحد من البشر"، وجاء ادعاء أفلاطون عن قارة أطلانتس مما ذكره جده الرابع سولون بأنه زار معبد سايس وتكلم مع كهنته وذكروا له أن رب الشمس قد أمر أنصاف المعبودات بمعبده بأطلانتس بمغادرة الجزيرة قبل أن تحل بها اللعنة وأشار لهم بالاتجاه شرقاً حيث معبده في أرض مصر، وهي الأساطير التي أخذها

من أستاذه سقراط أيضاً وأكدها صديقه أويدكسوس الذي رافقه خلال رحلته في مصر، حيث ذكر أن تلك القارة كان يطلق عليها اسم أرض المعبودات، فيما احتوت بعض الخرائط القديمة التي وجدت ضمن مقتنيات بعض سلاطين الدولة العثمانية لجزيرة بمدخل البحر المتوسط عند مضيق جبل طارق ليس لها وجود في الخرائط الحديثة، ويعتقد أنها نفس الخرائط التي اعتمد عليها كل من الرحالة الشهير كريستوفر كولومبوس وفاسكو دي جاما في استكشاف العالم الجديد خلال القرن الخامس عشر حين سادت حركة الاسكتشافات البحرية، واهتم خلالها رحالة إسبانيا وإيطاليا والبرتغال بما ذُكر من أساطير رددتها قبائل زعمت أنهم جاءوا من جزر غرقت في المحيط. وظلت تلك القارة الوهمية وعلاقتها بمصر القديمة تلهب خيال علماء العصور الوسطى ومنهم ما ذكره فرانسيس بيكون خلال القرن السادس عشر في كتابه "حقيقة أطلانتس" حيث زعم أنه اعتمد في معلوماته على ما ذكره علماء وفلكيو مدينة الإسكندرية القديمة إلى وجود كارثة عنيفة حلت بالأرض وأدت إلى غرق القارة.

ويربط أنيس منصور في كتابه "الذين هبطوا من السماء" بين وجود كائنات فضائية هبطت على الأرض واستقرت في قارة أطلانتس وبين غرق تلك القارة، حيث ادعى هروب أفرادها ما بين المكسيك وبوليفيا غرباً ومصر شرقاً حاملين علومهم المتقدمة، مما جعل البعض يربط بين أهرام مصر وأهرام المكسيك. وقد قيل أنه بسبب الارتفاع الشاهق لقارة أطلانتس أدى هذا لنقص الأوكسجين مما جعل سكانها تميل بشرتهم للون الأزرق، وربما كان هذا سبب اهتمام مصر القديمة باللون الأزرق والبحث عن مكوناته وتلوين مناظرهم به وهو ما يعرف اللون الازرق المصري Egyptian blue.

ولكن في الحقيقة هذا الادعاء يثير السخرية، حيث أنه لا علاقة لتلك القارة

الوهمية بمصر القديمة، ولم يعثر على أي دليل أو أثر خرج لنا من قاع المحيط الأطلنطي يشير إلى وجود تلك القارة سوى كتابات أفلاطون الخيالية وما بني عليها من أساطير. ومن المثبت تاريخياً أن الأمير والمهندس حم إيونو هو المشرف على عملية بناء الهرم الأكبر، فكان الأمير حم إيونو ابن أخ الملك خوفو وترك لنا ألقابه التي حملها ومنها المشرف على جميع أعمال الملك، حيث كان كبيراً للمهندسين والمسئول عن جميع أوجه بناء الهرم. ويذكر المصريون القدماء أنفسهم علاقة الملك خوفو بهرمه ضمن مايعرف بأسطورة خوفو والسحرة المكتوبة ببردية وستكار والمحفوظة بمتحف برلين، حيث تشير إحدى قصص البردية أن الملك خوفو كان معجبا بأقفال معبد الرب تحوت بهليوبوليس وأراد أن يصنع أقفالا مثلها لهرمه المعروف باسم "آخت خوفو" أي أفق خوفو.

وفي عام 1990 ظهر لدينا الدليل [illegible] والتأكيد القاطع على أن أهرام الجيزة هي صناعة مصرية خالصة، حيث [illegible] الحي السكني ومقابر العمال بناة الأهرام خلف منطقة [illegible]رة، وهي الدليل القاطع على أن الأهرام هي صناعة مصرية خالصة، [illegible] تم العثور على مقابر العمال الذين اشتركوا في بناء الأهرام وما خلفوه من جرار أكل وشراب وهياكل عظمية بالإضافة إلى مقابر الفنانين والنحاتين والمشرفين الذين أشرفوا على عملية البناء تاركين لنا على جدرانها ألقابهم وأدوارهم في عملية البناء.

ولا تنتهي الأدلة الأثرية في إثبات ملكية المصريين للهرم عند هذا الحد، حيث اكتشفت البعثة الفرنسية مشتركة مع جامعة أسيوط عام 2013 بردية بساحل البحر الأحمر والمعروفة باسم "بردية وادى الجرف" والتى توضح كيفية تقطيع الأحجار لاستكمال كسوة الأهرامات، فيذكر أحد رؤساء العمال في عهد الملك خوفو ويدعى "مرير" حينما كان يذهب إلى طره لقطع الأحجار التى استخدمت فى

كسوة الهرم مع فريق عماله البالغ 40 عاملاً، حيث تم بناء سدود ضخمة لتحويل مجرى ماء النيل باتجاه قناة متجهة إلى موقع بناء الهرم لنقل كتل الأحجار عن طريق مراكب خشبية ترسو بموانئ بمنطقة الأهرام، كما ذكر أنه عاش في العام 25 من حكم الملك، مما يدل على أن خوفو قد حكم أكثر من ثلاثين عاماً.

الماسونية والأهرام:

دائماً ما يقترن اسم الهرم الأكبر بالماسونية، باعتبارها إحدى العجائب المعمارية التي يعتقد اشتراك البناءون الأحرار أو الماسونيين في بنائها إبّان التاريخ القديم، وخاصة مع وجود العين رمز الماسونية أعلى الهرم المرسوم على الدولار الأمريكي، وادعاء وجود طاقة هائلة تحافظ على استقرار الأرض داخل الهرم والرغبة في السيطرة على تلك الطاقة عن طريق طقوس وهمية تقام داخل الهرم، وغيرها من الخرافات التي تلصقها الماسونية بالهرم الأكبر.

فيعتقد رواد الماسونية بوجود بلورة سحرية داخل الهرم تمثل سر الكون الأعظم والتي وضعت داخل الهرم منذ آلاف السنين، ومن يستطع السيطرة على تلك البلورة سوف يتمكن من الحصول على سر الكون والسيطرة عليه، وهو ما تقوم به مجموعة من الجماعات المنتمية للماسونية عن طريق طقوس غامضة داخل حجرة الملك ولا يمكن أن تقام في أية حجرة أخرى، كما يدعون وفق عقيدتهم المزعومة الرغبة في إكمال قمة الهرم ليصبح 148 مترا عن طريق وضع هرم ذهبي أعلى القمة، وهذا يعنى قفل جسم الهرم واكتمال قمته مما يبشر ببداية عودة اليهود لمصر وهذا بالطبع كلام مغلوط لا أساس له من الصحة.

وهناك طائفة متفرعة من الماسونيين تعرف باسم جماعة الأهراميين، وهي جماعة من جنسيات مختلفة يحجون إلى منطقة الهرم كل عام من أجل إقامة

طقوس غريبة وهم خليط بين البوذية والزرادشتية والكنفوشية والوثنية. وتنقسم جماعة الأهراميون إلى عدة طوائف مثل جماعة "الرمز الواحد" وقد بلغ عددهم اثنين ونصف مليون حول العالم، وجماعة أخرى تعرف باسم "الأطهار". وقد وصل تعداد الأهراميون عام 1995م في كل العالم نحو ثمانية مليون، وبالطبع قد زاد هذا العدد الآن. كما تخرج منها جماعة أخرى تسمى Rosicrucian أو "الصليب القرمزي" الذي بلغ عددهم عام 1992م في أوروبا وأمريكا مليون شخص، يأتي عدد كبير منهم من كل جنسيات العالم إلى الهرم لإقامة طقوسهم الغامضة باعتباره بيت الرب الذي يأتون إليه كل عام، ويضعون على صدورهم وردة حمراء ترمز لدماء الحياة التي تجري في عروق البشر، ويضعون أيديهم متقاطعة على صدورهم بالوضع الأوزيري أي أشبه بوضع تماثيل المعبود أوزير وهم يرددون تعاويذهم الخاصة. وتلك الجماعات كلها تنكر على الحضارة المصرية القديمة قيامها ببناء الهرم حيث يعتقدون أنه من صنع جماعات استقرت بالهضبة حوالي عام 10,000 ق.م.

أبو الهول.. ذلك الكائن الخرافي



هو أشهر تمثال خلفته يد البشرية على الأرض، ورمزٌ من أهم رموز الحضارة المصرية القديمة، حيث يحرس أبو الهول هضبة الجيزة منذ آلاف السنوات وأصبح أيقونة دارت على ألسنة وأقلام الرحالة والمغامرين عبر العصور مما يجعل الناظر إليه يشعر بالرهبة أمامه والإعجاب بمن صنعوه وأخرجوه بهذه الروعة، يجلس في صمت وتأمل ليراقب حركة التاريخ على مدار أربعين قرناً بين قوى متصارعة تصعد وتخفت، منحوت بانسيابية في صخر الهضبة على الجانب الشرقي من الهرم الثاني ينظر نحو أفق شروق الشمس، ويطل علينا بجسد أسد رابض ورأس ملك جمعهما الفنان في انسجام غريب لا يكاد الرائي يشعر معه أنه أمام كائن مفتعل غريب كما وصفه الدكتور عبد العزيز صالح، وليس في أعمال الطبيعة ما يحاكيه مثلما قال عنه المؤرخ عبد اللطيف البغدادي، وأضحى مصدر إلهام للعديد من الشعراء مثلما تغنى به الشاعر المصري ظافر بن القاسم السكندري الحداد إبّان العصر الفاطمي فقال عن وصفه:

تأمل هيئة الهرمين واعجب...وبينهما أبو الهول العجيب

كعمـار يبتن على رحيـل...بمحبوبين بينهما رقيـب

بينما غرد في وصفه أمير الشعراء أحمد بك شوقي وكتب عنه قصيدة خالدة مطلعها:

أبا الهول طال عليك الدهر... ومكثت في الأرض أقصى العمر

فيا خالدة الدهر لا الدهر شب... ولا أنت جاوزت حد الصغر

أبو الهول..رجل أم امرأة؟

على مدار آلاف السنين نظر الرحالة والمؤرخون لأبي الهول بقدر من الدهشة لا تخلو من معلومات مغلوطة مثل التي طالت الأهرام. فلم يكن لدى بلليني الأكبر معلومات كافية عن أبي الهول فقال أنه كان ربا محليا لسكان المنطقة، بينما سمع من البعض بأنه قبر للملك "أمايس" وذكر الناس أنه نحت في مكان آخر ثم نقل وصبغ باللون الأحمر ليتفق مع العبادة، في حين لم يذكر هيرودوت عنه أية معلومات مما يدل على أنه كان مغطى بالرمال تماماً حين زار مصر.

أما الرحالة العرب، فقد جاءوا بوصف خيالي غير دقيق للتمثال، حيث يذكر القضاعي أنه صنم الهرمين لا يظهر منه سوى رأسه ويعرف باسم بلهوبة أو بلهيب ويقال أنه طلسم للملك. ووصفه المسعودي بأنه صنم بقرب الهرم الكبير في وهدة (منخفض) تحفظه وعنقه أشبه برأس راهب حبشي وعلى وجهه صباغ أحمر لم يحل على طول الزمان، مما يدل على أن ألوان أبي الهول لا تزال باقية خلال العصور الوسطى.

على أن عبد اللطيف البغدادي حاول وصفه بشكل أقرب إلى الحقيقة حيث قال "يزعم الناس بأن جثته مدفونة تحت، وفي وجهه حمرة ودهان أحمر يلمع عليه رونق الطراوة وهو حسن الصورة مقبولها، وعليه جمال وكأنه يضحك تبسماً، وسئل بعض الفضلاء عن عجيب ما رأى فقال تناسب وجه أبي الهول فإن أعضاء وجهه - كالأنف والعينين والأذن - متناسبة كما تصنع الطبيعة الصور متناسبة، والعجب من مصوره كيف قدر أن يحفظ التناسب للأعضاء مع عظمها" وهذا الوصف يقودنا إلى أن أنف أبي الهول في عهد البغدادي خلال القرن العاشر والحادي عشر الميلادي كانت سليمة.

وما ذكره المقريزى عن أبي الهول يتضح أنه كان يُنظر إليه على أنه تمثال

مسحور جُعل لكي يسيطر على مياه النيل ويحمي الوادي من الفيضانات العاتية، كما ردد أيضاً ما ذكره بعض المؤرخين كالسيوطي من أن أبا الهول كان حامياً لقرى الجيزة وطلسماً يمنع الرمال عن المزارع.

ولم يختلف الأمر كثيراً عند الرحالة الأوروبيين، فأغلبهم جاء إلى مصر خلال الحملات الصليبية ورحلات الحج المقدس، وجاء اختراع الطباعة ليشكل ثورة في نقل هذا الخيال إلى الغرب، حيث قام بعض الرحالة بعمل رسومات تخيلية لشكل أبي الهول، وجاءت الطباعة لتنقلها بسرعة رهيبة بين يدي الخاصة. ومنذ القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، ساد الاعتقاد الشائع في كتب هؤلاء الرحالة بأن تمثال أبي الهول هو كائن أنثوي له وجه وعنق وثدي لامرأة. فبعد سبع سنوات من زيارة الجيزة، وصف الكاهن والرحالة الفرنسي اندري ثيفيت عام 1556م تمثال أبي الهول بأنه "رأس تمثال ضخم قامت بنحته "إيزيس ابنة أنخوس محبوبة جوبيتر"، وصورها على أنها وحش ذو شعر مجعد مع طوق كلب يغطي رقبتها.

أما الكاهن الألماني أثناسيوس كيرشر والذي لم يزر مصر أبداً، قام خلال القرن السابع عشر برسم تمثال أبي الهول باعتباره تمثالًا رومانيًا، في حين صوّر الرحالة الألماني يوهانس هيلفيريش في عام 1579م أبا الهول على شكل امرأة ذات وجه نحيل وصدر مستدير وباروكة شعر مستقيمة وأنه صورة مجسدة للربة إيزيس، وادعى وجود ممر سري بداخله كان يستخدمه الكهنة المصريون القدماء ليتحدثوا من خلاله للعامة بصوت أبي الهول. أما الرحالة والدبلوماسي الفرنسي "بالسار دي مونكوني" فقد قام في 1665م بتفسير غطاء الرأس على أنه نوع من الشعر المستعار، في حين كان أبو الهول في تخيل الرحالة الفرنسي "فرانسوا دي لا بولاي لو جوز" 1653م ذا تسريحة مستديرة مع طوق ضخم، وكان تخُيل ثيفيت هو الوحيد الذي دلّ على وجود غطاء رأس لأبي الهول وليس باروكة شعر.

ومن الخرافات التي نقلها رحالة العصور الوسطى الأوربيون ما ذكره الرحالة والشاعر الإنجليزي جورج سانديز 1610م أن أبا الهول كان رمزاً للبغاء، ورأى أنه رأس امرأة أثيوبية تعاني من تآكل في العنق وتلفيات أصابت رأسها فأحدث شقوق وتصدعات. بينما جاء وصف الكاهن الإنجليزي ريتشارد بوكوك 1743م أبا الهول معتمداً على رسم الرسام الهولندي كورنيليس دي بروين لعام 1698م حيث كان الأقرب إلى المظهر الفعلي لأبي الهول أكثر من أي تخيل سابق مع وجود اختلافات بسيطة. ويلاحظ في جميع من سبق من تصاوير هو وجود أنف أبو الهول في مكانها، بالإضافة إلى وجود رسومات لبعض الزوار حول عنق ورأس أبي الهول مما دل على أن جسده كان مطموراً كاملاً في الرمال حتى عنقه[12] . أما أحدث النظريات الخرافية المتعلقة بالتمثال هو ما أثاره عالم الآثار والفلك الأمريكي روبرت ك. تيمبل خلال القرن العشرين، حيث يرى أن تمثال أبي الهول كان في الأصل تمثالًا للرب أنوبيس على شكل ابن آوى رب الجبانة، وتم إعادة نحت وجهه بالشكل الحالي في عصر الملك أمنمحات الثاني من الدولة الوسطى.

أنف أبي الهول:

طالت العديد من الشائعات أنف أبي الهول المفقودة، حيث ورد عن كل من المقريزي والمسعودي قصة تحطيم الأنف الشهيرة على يد شيخ صوفي مغربي يدعى صائم الدهر باعتبار أبي الهول مظهراً من مظاهر الوثنية ومنكراً يجب تغييره فورا وبقوة اليد، فكانت النساء تتبرك به وتقدم له النذور والقرابين، حينها ذهب صائم الدهر إلي منطقة الأهرام واصطحب معوله معه حتى وصل إلي أبي الهول وصعد فوق رأسه وقام بتحطيم أنفه وجزء من جانب رأسه, لكن عاصفة ترابية حالت دون ذلك فأتلفت المزروعات وأهلكتها، وأرجع الناس ما حدث لغضب

12) Lehner, Mark. Complete Pyramids. p. 43

أبي الهول، فهرع خائفاً من لعنة التمثال. وقد ربط الرحالة الألماني الأب فانسليب في القرن السابع عشر تحطيم صائم الدهر لأنف أبي الهول بما قام به من تحطيم تماثيل الأسود التي أقامها الملك الظاهر بيبرس البندقداري ليزين بها قناطر القاهرة وحدائقها التي تحاكي رأس وأنف أبي الهول الرمز الوثني الذي كان العامة من الناس يعتقدون في كرامته وخرافاته [13].

وفي رواية أخرى أشيع أن تلك الأنف دُمِّرت بواسطة مدفعية جنود الحملة الفرنسية على مصر عام 1798م بقيادة نابليون بونابرت؛ إما لكسر أنف المصريين أو لتدريب قوات المدفعية الفرنسية على الرماية، أو خلال معركة إمبابة التي دارت بينه وبين المماليك. ورغم امتداد أحداث المعركة نحو منطقة الأهرام، ولكن مع التحقق من الأمر، تكتشف أنه كان من الصعب على المدفعية الفرنسية أن تصل ضرباتها من منطقة إمبابة مركز المعركة إلى أنف أبي الهول بالجيزة، وهناك دليل آخر على رفض تلك القصة وهي رسوم المستكشف والرحالة الدنماركي فريدريك لويس نوردن لأبي الهول في عام 1737م، والتي نشرت في 1755م، أي قبل 61 عاما من تاريخ حملة نابليون على مصر، وقبل ولادة بونابرت نفسه بـ32 عاما، في كتابه "الرحلة إلى مصر والنوبة"-حيث أظهرت التمثال بشكله الحالي بلا أنف!

ويشير البعض إلى أن السبب في فقد التمثال لأنفه كان بالقرن العشرين خلال الحرب العالمية الأولى أو الثانية، حيث أن القتال بين القوات الإنجليزية والألمانية في محيط الهرم قد تسبب في سقوط الأنف، وهو أيضاً أمر غير حقيقي. في حين أن الرأي الأقرب للصواب هو أن الأنف هي الجزء الأضعف للتمثال والتي تعرضت للتهشيم والنحر نتيجة العوامل المناخية المستمرة عبر القرون.

13) Okasha El Daly Egyptology: The Missing Millennium : Ancient Egypt in Medieval Arabic Writings.p. 89.

خوفو أم خفرع؟

بسبب المهارة غير المعتادة والإعجاز الكبير في نحت التمثال ظهر العديد من الآراء تحاول نسبة تمثال أبي الهول لحضارة أطلانتس المزعومة مثله مثل الهرم الأكبر، أو أن عمر "أبي الهول" عشرة آلاف عام نسبة لعمر الكتلة الحجرية التي نُحت منها، وبالتالي ليس من عمل المصريين القدماء، فيُرجع أتباع هذا الاعتقاد الضال التمثال العظيم إلى عصر ما قبل الأسرات، حيث يرى العالم الألماني هينريش بروجش أن تمثال أبي الهول أقيم في عهد ما قبل الأسرات كرمز لأحد معبودات المصريين القدماء، لأن هناك ما يثبت أن الملك خوفو قد شاهد أبا الهول قبل أن يقوم ببناء هرمه الأكبر، بينما ادعى البعض الآخر أن أبا الهول قد سبق وجوده بناء الأهرامات نفسها مستندين على ما ذكره سليم حسن بأن "أول من زار هذا المكان المقدس حسب ما وصلت إليه معلوماتنا هو أمنحتب الثاني صاحب اللوحة المشهورة التي كشف عنها حديثا، وهي التي يقول فيها أنه أتى بعربته من منف إلي مكان أبي الهول الذي بنيت من أجله الأهرام".

أما الكاتب الأمريكي جون أنطوني ويست فقد ادعى كذباً أن تمثال أبي الهول يرجع لما قبل الطوفان، معتمداً على نظرية تتلخص في أن النحر الموجود في جسم تمثال أبي الهول يثبت من الناحية الجيولوجية أنه حدث نتيجة حدوث طوفان نوح العظيم أي منذ 5000 إلى 10,000 سنة قبل الميلاد، وأن عمر تمثال أبي الهول يرجع إلى هذا التاريخ أي منذ عشرة آلاف عام، وأن الملك خفرع شكّل هذا التمثال بعد ذلك لكي ينسبه إلى نفسه، أي أن خفرع ملك مصر قد سرق التمثال ونسبه لاسمه، ودليله في ذلك علي حد قوله أن رأس تمثال أبي الهول لا يتناسب مع حجم جسم التمثال. واعتقد عالم الآثار الألماني لودفيج بورخارت - مكتشف وسارق رأس الملكة

نفرتيتي- أن أبي الهول يرجع إلى عصر الدولة الوسطي، وأن تفاصيل وجه التمثال تتشابه مع نفس قسمات وجه الملك أمنمحات الثالث من الأسرة الثانية عشرة.

ومع اختلاف الآراء حول هوية الملك الذي قام بنحت هذا التمثال المعجزة، استقر أغلبها ما بين الملك خوفو وابنه الملك خفرع ملوك الأسرة الرابعة بالدولة القديمة، حيث اعتقد عدد من العلماء منهم أوجست مارييت وجاستون ماسبيرو وفلندرز بتري وراينر شتادلمان بأن صانع هذا التمثال هو الملك خوفو، فقد استند مارييت على ما يعرف بلوحة الإحصاء (وتسمى أيضاً بلوحة ابنة خوفو)[14] والتي تنص على أن الملك خوفو قد جاء ليجد أبا الهول مدفون في الرمل مما يثبت وجود أبي الهول في عهد أو حتى قبل الملك خوفو، ويمكن رفض هذا الدليل من خلال تحليل تلك اللوحة وشكل المعبودات وأسمائها المذكورة بها ليتبين أنها ترجع للعصر المتأخر وليس الأسرة الرابعة مما يدل على أن معلوماتها مغلوطة أو مخالفة للحقيقة التاريخية، حيث يبدو أن كهنة إيزيس قد نقشوا هذه اللوحة في العصر المتأخر ليضيفوا عراقة وتأصيلاً لمعبد إيزيس وأضافوا معه أبا الهول فزعموا أن كلاً من الربة إيزيس وأبي الهول ترجع عبادتهما إلى قبل عهد "خوفو" أي الأسرة الثالثة من عصر الدولة القديمة[15]. وهناك حالات مماثلة في التاريخ المصري القديم حاول فيها الكهنة بل وأحياناً الملوك أنفسهم العودة بمنشآتهم ومعبوداتهم إلى عصور سحيقة كنوع من إضفاء قدر من القداسة لأعمالهم.

أما ماسبيرو، المدير الثاني للمتحف المصري فكان يرى أن لوحة الحلم كانت تضم اسم الملك خفرع في السطر 13 مما يدل على أن تمثال أبي الهول كان سابقاً

---

14) تلك اللوحة عثر عليها "مارييت" أثناء حفائره في الجيزة في القرن التاسع عشر داخل معبد "إيزيس" الذي يقع للشرق من هرم الملكة "حنوت سن" زوجة الملك "خوفو"، وهي حاليا المحفوظة بالمتحف المصري بالتحرير.

15) Verner, Miroslav. The Pyramids: The Mystery, Culture, and Science of Egypt's Great Monuments. p. 212

لعهده ولكن سرعان ما عدل رأيه هو وبتري لينسبا التمثال إلى الملك خفرع، في حين يرى عالم المصريات الإنجليزي واليس بادج أن هذا التمثال كان موجوداً منذ عهد خفرع وربما من قبله منذ العصر العتيق.

وقد نسب راينر شتادلمان المدير السابق للمعهد الألماني للآثار بالقاهرة التمثال للملك خوفو معتمداً على أن موقع أبي الهول هو بذاته المكان الذى استغله خوفو كمحجر للحصول على الحجر الجيرى لبناء هرمه، وأن طبيعة الحجر التى نُحت منها رأس أبي الهول هى ذاتها طبيعة الحجر الذي استغل فى بناء هرم خوفو، ولكن في حقيقة الأمر فإن ملايين القطع الحجرية قد اقتطعت من أكثر من مكان من هضبة الجيزة وخاصة المنطقة إلى الجنوب من هرم خوفو، ولا يمكن القول بأن عمال خوفو هم المسئولون وحدهم عن قطع أحجار الخندق حول تمثال أبي الهول أو أن نحاتى خوفو هم من قاموا بنحت أبي الهول [16].

ويمكن الاستدلال بتأريخ أبي الهول لعصر الملك خفرع من خلال التداخل والتناغم بين موقع تمثال أبي الهول وبين الطريق الصاعد لمجموعة الملك خفرع الهرمية والذي صمم ليناسب وضع التمثال، كما أنه مع الفحص الدقيق لغطاء رأس أبي الهول ومقارنته مع تماثيل الملك خفرع وأشهرها تمثاله الشهير بالمتحف المصري بالتحرير والذي يمثله جالسا علي كرسي العرش ومن خلف رقبته يقف الصقر حورس ناشراً جناحيه علي جانبي رأس الملك وُجد أنه أقرب للملك خفرع، فمن الجلي أن عملاً كتمثال أبي الهول لا يمكن أن يظهر سوى فى عهد الملك خفرع حيث بلغ فن النحت فى عصره أعلى نقطة من الاكتمال والإبداع خلال الدولة القديمة. وقد قام العالم الأمريكي مارك لينر بتجربة في الثمانينيات باستخدام الكمبيوتر لمقارنة ملامح وجه تمثال لخفرع وكذلك تفاصيل وجه أبي الهول واتضح

16) زاهي حواس، أبو الهول، ص 62-61.

وجود تشابه كبير بين ملامح تمثال خفرع وأبي الهول حيث كان الفن في هذه الفترة حريص على إظهار الملامح الشخصية الحقيقية.

لماذا نحت أبو الهول؟

اعتقد البعض أن صخرة أبي الهول هي تلك الصخرة التي تبقت في المنطقة التي استعملت كمحجر وبالتالي تم استغلالها في نحت تمثال ما حتى لا تترك سدى، وهو الاعتقاد الذي تبناه عالم الآثار الأمريكي جورج رايزنر في أوائل القرن العشرين وساد في كتابات أغلب الأثريين لوقت طويل.

ولكن في حقيقة الأمر أثبتت الدراسات الحديثة أن نحت أبي الهول لم يأت مصادفة أو دون تخطيط، فأبو الهول كان يمثل جزءً أساسياً من الخطة الأصلية التي وضعت لتشييد المجموعة الهرمية للملك خفرع، حيث أن كتلة التمثال الحجرية وهي جزء من هضبة الجيزة كان بها الكثير من العيوب وأجزاء كبيرة منها عرضة للتفتت وأخرى بها شروخ، فلو كان للمهندس المعماري المنفذ للمجموعة الهرمية حرية اتخاذ القرار، لما سمح باستغلال هذه الكتلة الصخرية المعيبة في نحت تمثال بهذه الضخامة بل لأمر بإزالتها، ولكنه كان مرغما أمام تصميم مسبق ومحدد وُضع للمجموعة الهرمية بحيث تنحت هذه الصخرة لتصبح تمثالا لهيئة أبي الهول.

ومن المؤكد لدينا تاريخياً حدوث ثورة دينية في عهد الملك خوفو والتي غيرت في المعتقدات الدينية وفكرة الملكية بدءً من العام الخامس من حكم خوفو حين أعلن نفسه رباً للشمس، الأمر الذى أدى إلى تسمية مجموعة "خوفو" الهرمية باسم "آخت خوفو"، وعندما تولي الملك خفرع عرش مصر حاملاً أيضاً لقب "ابن رع"، خطط لإقامة مجموعته الهرمية بهضبة الجيزة في المنطقة المجاورة لمجموعة أبيه ووضع ضمن خطته في البناء نحت تمثال أبي الهول وبناء معبده ليكرسا لخدمة

عقيدة الملك خوفو باعتباره "رع" رب الشمس، فتمثال أبي الهول يمثل الملك خفرع في صورة الرب حورس مقدما القرابين بمخلبيه إلى أبيه "خوفو/رع" في معبده. وهو الأمر الذي يفسر عدم تكرار أبي الهول في أي مجموعة هرمية أخرى، لأن دوره ووظيفته كانتا خاصة بظروف عقائدية لم تتكرر، حيث الثورة الدينية التي أحدثتها عقيدة خوفو الجديدة والتي ربما انتهت وعادت الأمور لسابق عهدها بوفاة الملك خفرع. وبعد انتهاء الدولة القديمة أصبحت تماثيل أبي الهول مجرد تماثيل حارسة تقام على جانبي طرق الاحتفالات الدينية والمؤدية إلى مداخل المعابد، مثلما نجد في معابد الكرنك [17]، وهو ما جعل البعض يعتقد في كون أبو الهول بالجيزة هو رمز لحماية وحراسة الجبانة.

وصمم التمثال الأعجوبة بطريقة تسمح لأشعه الشمس بأن تسقط على رأسه يومي 21 مارس و21 سبتمبر من كل عام، وبهذا يكون المصري القديم قد أدرك ظاهرة تعامد أشعه الشمس منذ الأسرة الرابعة، وأنه قد حدد موقع "أبي الهول" من قبل في هذا المكان لغرض ديني وفلكي حيث يظهر التمثال في شكل رب الشمس يشرق ويغرب بين الأهرامات.

هل هناك أبو الهول آخر؟

من أكثر المعلومات المغلوطة التي تدار حول أبي الهول نظرية يتبناها البعض مثل باحث المصريات بسام الشماع والمؤرخين الإنجليزيين جيري كانون ومالكوم هاتون، حيث يحاولون إثبات وجود تمثال آخر لأبي الهول جنوبي الطريق الصاعد لهرم خفرع مواز ومساو في الحجم لأبي الهول الحالي لكنه تمثال لأنثى، مستندين على العديد من الادعاءات، منها فكرة السميترية التي كانت من أهم صفات الفن المصري القديم، حيث وجود العنصر الفني متطابقاً مرتين والذي كثر ظهوره

17) زاهي حواس، أبو الهول، صـ 57-55.

علي جانبي المقابر والمعابد سواء في النقش أو النحت، مثل ما ظهر في لوحة تمثل تتابع الليل والنهار والتي نقشها المصري القديم في هيئة تل أيمن وآخر أيسر يقف أمامهما أسدان إحداهما يسمى "اليوم" ويبعث بكرة صغيرة من فمه للأسد الواقف أمام التل الآخر ويسمى" الغد"، ويرون أن تفسيرها يؤكد وجود أسد "أبو الهول" يقف أمام هرم "خوفو" وهو التل الأيمن ووجود أسد آخر يقف أمام هرم "خفرع" وهو التل الأيسر وهو أبو الهول الثاني، كما ظهر في كتاب "أمي دوات" أو ما هو موجود بالعالم الآخر ببردية "نس مين" والمحفوظة بالمجموعة الملكية بلندن منظراً بالفصل الخامس يمثل كهف الرب سوكر بالعالم الآخر يحرسه زوج من تماثيل أبي الهول يمثل أفقي الآخرة وبوابات الدخول والخروج، وذكرت أيضاً في الفصل السابع والعشرين من "كتاب الموتى" حيث ظهور أسدين أيضاً، أحدهما في الشرق والآخر في الغرب وبينهما علامة "الآخت" أي "الأفق" تحت الشمس مباشرة، وقد رسم المصري القديم في الأساطير ذراعين ترفعان الشمس لأعلى وهذا معناه شروق الشمس. وهذا التفسير عارٍ تماماً من الصحة العلمية، حيث أن كل هذه التصورات عبارة عن اعتقادات دينية لا تمت لأبي الهول مباشرة.

كما استند أصحاب هذا الادعاء على صورة فضائية لهضبة الأهرام التقطتها مركبة الفضاء "أنديفور" عام 1994م والتي أثبتت وجود جسم حجري ضخم موازٍ لأبي الهول الحالي وخلفه معبد الوادي، وهو نفس المكان المقترح من قبل لأبي الهول الثاني، وهو حسب تقدير صورة الرادار الخاص بالمركبة الفضائية يقع على عمق 15 قدما عن سطح الأرض، ولكن مع الكشف الجيولوجي للمنطقة اكتشف أنه مجرد كتلة حجرية بدون أي نقوش أو بقايا نحت لا تدل على أنها كانت جزء من تمثال ما.

وهناك من ادعى فناء أبي الهول الثاني نتيجة صاعقة دمرته والتي ذكرت في

لوحة الإحصاء السالف ذكرها تاركة أبا الهول الذكر باقياً في مكانه، ولكن اتفق علماء الآثار والجيولوجيا على أن تلك الصاعقة دمرت الأشجار المعمرة الموجودة في وادي الغزلان الواقع إلى الجنوب الشرقي من أبي الهول ولا يمكن لها أن تدمر تمثالاً ضخماً منحوتاً في الصخر، فيرى زاهي حواس أنها إذا كانت قد دمرت التمثال الثاني، فلماذا لم تصب التمثال الأول بالدمار؟ وإذا كانت دمرت التمثال الثاني، فلابد وأن تترك له أثراً باقياً يدل على وجوده كقاعدة ما أو نقش على بقاياه!

أبو الهول والمسيح الدجال:

ضمن أغرب ما قيل حول تمثال أبي الهول ذلك ما ادعاه أحد الباحثين الهواة ويدعى أسامة حامد مرعي بأن تمثال أبي الهول قد نحت ليمثل المسيح الدجال، حيث ذكر أن المسيح الدجال قد أمر بنحت تمثال ضخم قبل حدوث طوفان نوح العظيم، وجعله رمزا له وهو التمثال المعروف لدينا باسم "أبو الهول"، وذلك دون الاعتماد على أية أبحاث معاصرة أو دراسات علمية حقيقة، ولكن جاء كل اعتماده من مصادر على كتب غير متخصصة وما رواه المؤرخون القدماء من روايات خرافية أسلفنا في تفنيدها، حيث اعتمد على ما ذكر في الأثر "أن طول الدجال ستون ذراعاً بالذراع الأول، تحته حمارٌ أقمر، طول كل أذن من أذنيه ثلاثون ذراعاً" والمقصود به الذراع السوداء وهي من وحدات قياس الأطوال المعروفة قديما عند العرب وطولها 3، 49 سم. وبناء علي ذلك يكون طول المسيح الدجال بالمقاييس الحالية حوالي ثلاثين متراً، ويدمج ما توصل إليه مرعي بما قاله المؤرخون العرب في وصف أبي الهول كوصف ابن إياس بأن "هذا الصنم من الحجر الكذان ولا يظهر منه سوى رأسه وبقيته مدفونة في الرمال، ويقال أن طوله ستون ذراعاً" بينما يذكر الرحالة والمؤرخ عبد اللطيف البغدادي أن "جثته بالنسبة إلى رأسه ستين ذراعا في الطول"،

وهذا ما تنفيه القياسات الحديثة للتمثال حيث أن عرض أبي الهول الفعلي 73م بداية من مخلبه وحتى ذيله.

سراديب وكنوز أبي الهول:

من بين الخرافات التي ذاعت بين الناس حول أبي الهول أنه يخفي داخله العديد من الممرات والأنفاق السرية التي تؤدي إلى حجرة مليئة بالكنوز مخفية أسفله، فمنذ القدم أشيع وجود الأسرار والكنوز التي أعتقد في كونها أسفل أبي الهول وفقاً للأساطير القديمة، حيث يقال أن هناك حجرة للسجلات السرية مدفونة في مكان ما أسفل أبي الهول تحديداً تحت أقدام التمثال، تلك الحجرة التي احتوت على مصادر أسرار المعرفة والحكمة وكنوز لا حصر لها عند المصريين القدماء وعلومهم الباطنية الغامضة والمدونة داخل لفائف البردي وألواح من الذهب، وربما تحوي أسرار وموقع قارة أطلانتس المفقودة اعتقاداً بأن أحد الناجين من غرق تلك القارة المزعومة قد هرب إلى مصر حاملاً صندوقا يضم تلك الأسرار والكنوز وذلك عام 10500 ق.م عند تعامد كوكبة الأسد بين مخلبي أبو الهول، ودفنها داخل حجرة أسفل التمثال، تلك الغرفة الغامضة شبهتها الأساطير في أهميتها بالنسبة للمصريين القدماء بمكتبة الإسكندرية القديمة اللي ضمت الفكر الإغريقي والعالمي في عصر البطالمة.

جماعة الساحر إدجار كايسي:

رغم اكتشاف جسد أبي الهول ونفض ما عليه من الرمال، إلا أنه مازال يلهب مخيلة الكثيرين بالأساطير والخرافات، وهي التي مازالت سائدة في عقول الناس حتى الآن. ومن أشهر الجماعات المرتبطة بفكرة كنوز أبي الهول هو ما تناقلته

جماعة "إدجار كايسي"، ذلك الدجال الذي عاش خلال أوائل القرن العشرين، حيث يؤمنون بأن هذا الرجل ساحر له قدرات خاصة تصل إلى حد المعجزات يتنبأ بأحداث عالمية عن طريق لحظات غيبوبة أو فقدان وعي حتى أطلق عليه النبي النائم، ويعتقدون أن روح أحد العلماء الذين كانوا يعيشون في قارة أطلانتس المفقودة تجسدت فيه، وأنه استطاع النجاة من الدمار والهبوط إلى مصر وحمل صندوقاً به كل أسرار علم قارة أطلانتس، وقام بنحت أبي الهول ودفن صندوق الأسرار أسفل القدم اليمنى لتمثال أبي الهول. ويأتي أفراد هذه الجماعة إلى مصر كل عام لزيارة الأهرامات وأبي الهول في محاولة لاسترجاع معجزات إدجار كايسي.

أما في أواخر القرن العشرين أصر المغامران الانجليزي جراهام هانكوك والبلجيكي روبرت هاوفال على وجود ثلاثة ممرات وسراديب سرية تحت جسد أبو الهول ذكراها في عدة مؤلفات وآمنا بأنها تحوي على كنوز من عصور سحيقة ولفائف ومخطوطات حضارة أطلانتس الغامضة، وحاولا الكشف عنها لكن المجلس الأعلى للآثار بمصر رفض منحهما تصاريح حفر لأنهما مجرد هواة لا يملكون أية صفات أو مؤهلات علمية.

وفي حقيقة الأمر هناك أربعة سراديب تلتف حول جسد أبي الهول بدأ الكشف عنها منذ القرن 19 تحديداً عام 1816 علي يد الرحالة الإيطالي "كافيليا" الذي قام بالحفر بالمنطقة الشمالية من جسم التمثال علي أمل الكشف عن سرداب ضخم يصل بين أبي الهول وهرم خوفو ولكن أمله لم يتحقق، حيث عثر علي السرداب الأول خلف لوحة الحلم الرابضة بين مخلبي أبي الهول مباشرة ويصل عمقه إلى ثلاثة أمتار تقريباً، ويبدو أن مهندس الدولة الحديثة قد حفره لكي يستطيع أن يضع اللوحة بسهولة، لكننا لم نجد أي دليل يثبت أن هذه الفتحة أو السرداب تم نحتها في العصور الحديثة.

أما السرداب الثاني فقد كان موجوداً في ذيل أبي الهول وقام المكتشف الإنجليزي هيوارد فيز بفتحه مستعملاً الديناميت ولم يجد فيه شيئاً وأشيع وقتها أن كل من يدخل هذا السرداب تحدث له لعنة من لعنات الفراعنة. ولكن زاهي حواس أعاد اكتشاف هذا السرداب فأزال الأحجار التي كانت تغطيه ليجد فتحة طولها متر تقريباً تؤدي إلى سرداب هابط إلى أسفل أبي الهول بحوالي 15م، ومع الانتقال إلى الجزء العلوي من السرداب، كان هناك سرداباً آخر منحوتاً في الصخر بجسم التمثال ويصل إلى حوالي أربعة أمتار أعلى أرضية أبي الهول وينتهي بفجوة يصل عرضها قرابة المتر وارتفاعها حوالي مترين، ولم يعثر داخل هذا السرداب على أية بقايا أثرية.

وأما السرداب الثالث فكان يوجد أعلى جسم "أبو الهول" عثر عليه حواس أثناء قيامه بأعمال النظافة خلف الرأس مباشرة وبه عثر على جزء من غطاء الرأس الملكي المعروف باسم "النمس" في هذه المنطقة. وفي منتصف جسم التمثال مباشرة وجد فتحة سرداب آخر بعمق حوالي سبعة أمتار داخل جسم التمثال ولم يعثر داخل هذه البئر على أية قطع أثرية. ومن المرجح أن فيز هو الذي قام بحفر ذلك السرداب، حيث ذكر في مذكراته قيامه بأعمال الحفر خلف رأس أبي الهول حتى وصل إلى عمق سبعة وعشرين قدما داخل جسم التمثال عندما انحشرت أدوات الحفر التى كان يستعملها وبذل جهداً كبيراً لتخليصها وذلك بعمل حفرة داخل جسم التمثال.

أما السرداب الرابع داخل "أبو الهول" فقد تم الكشف عنه خلال منتصف القرن العشرين، على يد الفرنسي "بارايز" أعاد حواس الكشف عنه معتمداً على الصور التي التقطها باريز للسرداب الذي يقع في منتصف الجانب الشمالي من أبي الهول مباشرة. ومن خلال دراسة عملية، تم بحث هذه السراديب ومقارنتها بصخرة أبي الهول، نستطيع أن نقول أن المصريين القدماء أنفسهم قاموا بنحت

هذه السراديب لكي يعرفوا ما هو موجود بداخلها خاصة أن الحكايات والأساطير في ذلك الوقت كانت تشير إلى ذلك، وقد دفع هذا بعض أمراء العصر الصاوي إلى أن يقوموا بفتح مغارات بجوار التمثال وآبار تأخذ نفس طراز هذا العصر للدفن فيها لكي يتبركوا بـ "أبو الهول" أو رب الشمس في ذلك الوقت[18].

ومن ألغاز "أبو الهول" تلك الدعامات الحجرية أو ما يطلق عليها أحيانا " الصناديق الحجرية" والتي كشف عنها "ماريت" عام 1853م، يوجد منها اثنان في الناحية الشمالية إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة، واثنان في الناحية الجنوبية إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة كما في الناحية الشمالية، وكان "ماريت" هو أول من نظف المنطقة الشمالية الغربية لأبي الهول من كل جوانبها وذكر أنه يوجد في الجانب الشمالي ثلاث دعامات حجرية تبقى منها الآن اثنان فقط، والدعامة الكبرى تلاصق الفخذ الخلفي لأبي الهول، أما الدعامة الصغرى فتلاصق جانب التمثال. وعلى الجانب الجنوبي دعامة كبرى ملاصقة لخلف مرفق المخلب الأمامي والصندوق الأصغر ملاصق لبطن التمثال بحوالي 3,5م للغرب وللجنوب من الدعامة الكبرى. أما الدعامات الشمالية فمصمتة تماماً، مبنية بالكامل من الحجر في حين أن إحدى الدعامتين الجنوبيتين مصمتة وهي الموجودة في منتصف البطن، أما الأخرى وهي خلف القدم الأمامية اليمنى فمفرغة. وقد احتار العلماء في تفسير ماهية هذه الصناديق، وانتشرت حولها الأساطير واعتقد البعض أن داخلها أسرار الأهرام وأبي الهول ونشأة الخليقة وكنوز الفراعنة ومعارف الحكمة. والأغرب من ذلك هو تجاهلها وعدم ذكرها فى المصادر التاريخية، أو حتى اللوحات والكتابات التى تصور أبا الهول. والنظرية الأقرب لوظيفة هذه الصناديق الحجرية هو أنها كانت بمثابة نوع من الحماية والتدعيم لجوانب التمثال خاصة أحجار التكسية الخارجية [19].

18) زاهي حواس، أبو الهول، صـ 38-36.

19) زاهي حواس، أبو الهول، صـ 35-31.

أسطورة الزئبق الأحمر..



ما زال الغموض الذي يحيط عالم المصريين القدماء يقود بعض الناس لتصديق أمور ليس لها أي علاقة بمصر القديمة ولا أساس لها من الصحة، بل يعتقدون فيها اعتقاداً جازماً، وتعد خرافة الزئبق الأحمر وعلاقته بمومياوات المصريين القدماء من أشهر تلك الخرافات التي ملأت وعي الناس وشغلت تفكيرهم طيلة سنين، فيأتي العشرات من طالبي الثراء السريع وراغبي الحصول على طاقات جسدية غير عادية في البحث والتنقيب عن مادة الزئبق الأحمر ودفع الملايين من أجل الحصول عليه، ومازال الزئبق الأحمر في مخيلة الناس مرادفاً لعبارات إكسير الشباب الأبدي ومفتاح فك رصد المقابر وباب الكنوز وسر التحنيط وغيرها من الخرافات.

علاقة الزئبق الأحمر بمصر القديمة:

إذا أردت معرفة بداية الربط بين الزئبق الأحمر وعلاقته بمصر القديمة، فعليك بزيارة متحف التحنيط بالأقصر ورؤية تلك الزجاجة التي تعد أشهر معروضات المتحف وأكثرها إثارة للجدل. ترجع قصة هذا السائل إلى العام 1940 مع اكتشاف مقبرة أحد القادة العسكريين من الأسرة 27 في منطقة سقارة واسمه "آمون تف نخت"، فبداخل المقبرة تم العثور على تابوت مغلق يضم مومياء القائد، وحولها بقايا سوائل غامضة، وقام مكتشف المقبرة "زكي إسكندر" والذي كان مدير المعمل الكيميائي بمصلحة الآثار آنذاك ورافقه الكيميائي الإنجليزي "ألفريد لوكاس" بتجميع السوائل داخل زجاجة صغيرة. واشتهر السائل بشكل غير طبيعي بعد

أن أعلن الاتحاد السوفييتي في الستينيات اكتشافه مادة ذات كثافة عالية ممكن أن تدخل في الانشطار النووي، شبيهة بالمادة اللي عثر عليها في مصر، ولما زار مجموعة من العلماء الروس مصر أخذوا عينات من زجاجة زكي إسكندر وتبين أنها تحتوي على بقايا مواد التحنيط المعروفة مثل "الراتنج، والزيوت العطرية، وملح النطرون"، وأن تلك المواد تفاعلت مع المومياء الموجودة داخل التابوت والدم الخارج منها، واكتسبت قدراً من اللزوجة واتخذت اللون البني المائل للأحمر. ولمّا عرف الناس موضوع السائل انتشرت الأقاويل والشائعات عنه، حتى وصل الأمر إلى الرئيس جمال عبد الناصر فأمر بغلق الزجاجة وختمها بختم جمهوري وإيداعها بمتحف التحنيط بالأقصر[20].

وفي عام 2018 استيقظت مدينة الإسكندرية على كشف أثري هام وهو تابوت يرجع للعصر البطلمي بمنطقة سيدي جابر، حيث اعتقد في البداية أنه تابوت الإسكندر الأكبر، ولكن مع فتح التابوت ظهرت ثلاث بقايا آدمية وثلاث جماجم تحيطها سوائل تميل للون الأحمر الداكن وهو ما اعاد للأذهان فكرة الزئبق الأحمر ودفنه مع المومياوات، حتى وصل الهوس بالاكتشاف قيام حملة عالمية على موقع إلكتروني روسي تدعو الناس لشرب هذا السائل لما فيه من طاقة مهولة. ولكن مع البحث العلمي للتابوت ومحتوياته اتضح أنها كانت لكبار ضباط قتلوا في حرب إغريقية وتم تحنيطهم على عجل مع الاحتفاظ بتكريمهم في تابوت لائق، في حين أن المواد السائلة الحمراء هي أقرب لأن تكون بقايا مواد تحنيط سيئة أو سريعة بسبب موت الضباط المفاجئ.

ورغم تأكيد الأبحاث العلمية حول ماهية هذا السائل، استمرت إشاعة الزئبق الأحمر بين الناس عبر السنوات وزاد إصرارهم في الحصول عليه، وزاد الاعتقاد الخاطئ في أن هذا السائل هو زئبق روحاني لم يصنعه غير السحرة من كهنة

20) زاهي حواس، جنون اسمه الفراعنة. ص 159.

معبودات مصر القديمة، فيروج الدجالون والمشعوذون أن هؤلاء السحرة استطاعوا أن يسخروا هذا السائل لعمل المعجزات التي لا يستطيع فعلها غير الجان؛ ولذلك أرادوا أن يحفظوه بعيداً عن أيدي الشعب، فوضعوه في حناجر المومياوات وأصبح مرصوداً بالجان لحمايته إلا ممن يعرف السر، حيث كان الملك باعتباره الكاهن الأكبر وهو داخل قدس الأقداس بالمعبد يقوم بوضع الزئبق الأحمر داخل بيضة مصنوعة من خشب الأبنوس أو سن الفيل أو الألباستر، صغيرة الحجم جداً وتشبه التمرة، ولكي يستطيع الكاهن الأكبر إخفاء السائل داخل هذه التمرة كان عليه أن يستعين بالجان لكي يقوموا بعمل ثقب صغير داخلها وضخ السائل في البيضة أو التمرة. أما الكمية التي توضع بالداخل فقد تم تحديدها بحيث وصلت إلى ثلاثة جرامات وثلث من الزئبق الأحمر.

وعن كيفية إحضار السائل فيدعي المدعون أن المصريين القدماء كانوا بارعين في معرفة أسرار الكون حيث كانوا يذهبون إلى الصحراء الغربية والشرقية مستدلين بالنجوم بقيادة الكاهن الأكبر والمساعدين له من الكهنة لإحضاره، وقد توارث الكهنة هذا السر ولم يذكروه لأحد وحافظوا عليه داخل صدورهم. وقد اعتبر المصريون القدماء تلك التمرة أو البلحة أثمن ما توصلوا إليه، حيث تحتوي على سرهم الأكبر وهو الزئبق الأحمر، لذلك وضعوه في أغلى مكان لا يصل إليه بشر وهو حنجرة الملك، وهذا يعطي القوة السحرية للملك والتي تمكنه من تسخير الجان وإخضاعهم لسطوته وتنفيذ أوامره. وقد ربط هؤلاء العامة بين الزئبق الأحمر ولعنة الفراعنة لأن من يريد معرفة هذا السر أو الحصول عليه يموت فوراً بفعل السحر الذي رصده المصريون القدماء.

وارتبطت أسطورة الزئبق الأحمر في التراث العربي بالعالم الكيميائي جابر بن حيان، حيث تعلم علوم الكيمياء على يد والده حيان بن عبد الله الذي عمل عطاراً،

فعلّم جابر أسرار المعادن والأحجار، لكنه حذره من البحث عن حجر الفلاسفة وهي المادة التي ظل الناس يبحثون عنها خلال العصور القديمة والوسطى من أجل تحويل المعادن الفقيرة إلى أخرى نفيسة وهو ما يعرف باسم علم الخيمياء وربطوه بالزئبق الأحمر الفرعوني.

ولكن في حقيقة الأمر لا يوجد أي دليل علمي على استخدام المصريين القدماء له أو وجوده في أي موقع أثري أو داخل المقابر. فمع اكتشاف أكثر من خمسين مومياء ملكية داخل خبيئة الدير البحري (مقبرة320) ونحو عشر مومياوات ملكية بالمقبرة 35 بالإضافة إلى مشروع الكشف عن عائلة الملك توت عنخ آمون 2006 وغيرها من اكتشافات لمختلف المومياوات وتحليلها، فلم نجد بأي منها ما يتعلق بالزئبق الأحمر نهائياً.

جرائم باسم الزئبق الأحمر:

دفع التصديق بأسطورة الزئبق الأحمر بعضا من سكان الوادي الجديد بصحراء مصر الغربية ووادي المومياوات الذهبية بالجيزة إلى البحث عن مومياوات العصر المتأخر في محاولة لاصطياد المومياوات ليلاً وحملها في سرية وقيامهم بتمزيق لفائفها وفصل رؤوسها، وحيث كان يُعتقد أنهم في رحلة بحث عن كنوز مخفية بين لفائف المومياء كالتمائم مختلفة الأشكال والخواتم المصنوعة من المعادن النفيسة كالذهب والأحجار النصف كريمة والخناجر الذهبية، ولكن في حقيقة الأمر كانوا يبحثون عما هو أخطر وهو الزئبق الأحمر، وكان هذا البحث العشوائي سبباً في تدمير العديد من مومياوات القدماء، فقد شاع أن المصريين القدماء قد نجحوا في الحصول على مادة الزئبق الأحمر وإخفائها في مومياواتهم بشكل مركز، وتلك المادة هي التي مكنتهم من بناء حضارة مهولة ومنحهم قدرة جنسية لم يحصل عليها

أحد من قبل مستشهدين بعدد أبناء الملك رمسيس الثاني الذين بلغوا نحو 90 ابناً وابنة، بالإضافة إلى قدرتها على الشفاء من مختلف الأمراض والأوبئة والحفاظ على الشباب الدائم.

وتمتلئ صفحات الحوادث بالجرائد بقصص لأثرياء وفدوا إلى مصر بغية شراء هذا العنصر كي يشفي ذويهم من أمراض عضال أو لزيادة قدرتهم الجنسية، وذلك عن طريق حقن الجرام منه في آخر فقرة بالعمود الفقري، مما يقوي الخلايا ويجدد الشباب ويعالج الأمراض المستعصية كالعمى والبرص والجذام وغيرها. بل زادت أهمية الزئبق الأحمر والتي روج لها الدجالون في أنه لتلك المادة القدرة على تسخير الجن وتحويل التراب إلى ذهب وهو ما استعمله المصريون القدماء في كثرة كنوزهم التي وجدت في مقابرهم، فيتم شراؤه لتقديمه للجن والذي يمنح في المقابل الدجال ملايين الأموال، وهي الحيلة التي اعتمدت عليها بعض العصابات الأفريقية في إقناع رجال الأعمال وراغبي الثراء بتوليد الدولارات وزيادتها عن طريق الزئبق الأحمر.

ومن القصص الطريفة المتعلقة بالنصب باسم الزئبق الأحمر قصة ساحر كاميروني قام بالنصب على بعض الشباب في مصر حين قاموا بجمع كل ما لديهم من أموال وذهبوا إليه في مقر إقامته بأحد الفنادق المرموقة كي يقوم بتوليد الدولارات، حيث أحضر دولاراتهم وألصق بكل ورقة ورقة أخرى بنفس الحجم ووضعها في الماء وبعدها وضع مادة حمراء بالماء أوهمهم أنها الزئبق الأحمر، وفي ثوان تحولت الورقة البيضاء إلى مائة دولار وسط ذهول الشباب، ومن أجل زيادة إقناعهم طلب منهم أن يذهبوا بها إلى محل صرافة كي يتأكدوا من سلامة الدولارات، وبالفعل قاموا بتحويلها إلى جنيهات مع زيادة دهشتهم. فقاموا بتجميع مبلغ نصف مليون جنيه وحولوها لدولارات وذهبوا إليه لزيادتها فقام

بنفس التجربة ووضعها داخل أكياس بلاستيكية، ولكن طلب منهم ألا يفتحوها قبل 12 ساعة بسبب كبر المبلغ، وبعد انقضاء المدة اكتشفوا أن ما بالأكياس مجرد أوراق ملونة وأنه هرب بالدولارات الحقيقية!

قصة أخرى من ملفات الشرطة المصرية حينما ألقت الشرطة القبض على طالب في المرحلة الثانوية ومدرس بمدرسة أوسيم بالجيزة، حيث كان أبو الطالب يعمل لدى أحد أمراء الخليج وأقنع الطالب مدرسه بعمل مادة كيميائية ذات لون أحمر وبيعها لهذا الأمير على أنها الزئبق الأحمر والحصول مقابلها على ملايين الجنيهات.

ولكن هناك ما يتعلق بالزئبق الأحمر من قصص مؤسفة ذات نهايات سوداء، مثل قصة ثلاثة شباب من أسرة واحدة بأسوان سمعوا من أحد الدجالين عن معجزة الزئبق فقاموا بالحفر أسفل أحد جبال المنطقة بحثاً عنه وطمعاً في كنوزه، ولكن جزء من الجبل انهار فوقهم فماتوا على الفور ودفعوا حياتهم ثمناً للوهم.

هل هناك شيء اسمه الزئبق الأحمر؟

الزئبق، من الناحية العلمية هو عنصر معدني مثله مثل عناصر أخرى كالحديد والمنجنيز، يوجد في الطبيعة، وهو عنصر فضي اللون حساس للحرارة، وإذا أضيفت إليه مكونات أخرى يتحول إلى مركبات الزئبق مثل أكسيد الزئبق وكلوريد الزئبق، حيث أن العناصر المعدنية عندما تحدث لها عملية تفاعل يتغير لونها، والزئبق عندما يتأكسد ويتحول إلى أكسيد الزئبق يصبح لونه أحمر، وهو مادة سامة تضر الإنسان، تماماً مثل جميع مركبات الزئبق الأخرى. وأكسيد الزئبق ذو اللون الأحمر عندما يوضع على النار ينبعث منه دخان أزرق على هيئة دوائر، ويتصاعد في الجو فيتأثر المشاهد نفسيا، وهو ما يستخدمه المشعوذون والدجالون.

ويمكن لأي شخص في مصر وغيرها الحصول على أكسيد الزئبق بسعر لا يتجاوز

200 جنيه مصري إذا توجّه إلى أية شركة كيماويات. كما يمكنه الحصول على أي مركب إلا إذا كانت هناك دواع أمنية تحظر بيع مركب معين. ويدخل الزئبق في صناعة بعض أجهزة المعامل الطبية وأجهزة الترمومتر وقياس الضغط.

وهناك نوع آخر من الزئبق أكثر خطورة يعرف بالزئبق المشع أو الإشعاعي وهو عبارة عن مادة تستخدم في الانشطار النووي، وصناعة الأسلحة النووية، وهو أثقل المواد كثافة على سطح الأرض حيث تبلغ كثافته وفقا لتعبيرات الكيميائيين (23جم لكل سم3) ورمزه الكيميائي (H925 B206) وهو ما يعني أنها الأعلى كثافة في العالم. وهذا النوع من الزئبق هو عبارة عن بودرة معدنيّة ذات لون أحمر تصنع في دولتي روسيا وكازاخستان، ويُمكن استخدامها في العمليّات النوويّة التي تعتمد الانشطار النوويّ، وبذلك فهي تُستخدم في صناعة الطاقة والقنابل النوويّة ذات القوة العالية عند الانفجار. وتعدّ هذه المادة من أغلى المواد في العالم؛ حيث يبلغ سعر الجرامات القليلة منها ملايين الدولارات بعد تهريبها بطريقة غير شرعيّة من المفاعلات النوويّة.

وكان أول من استعمل تلك المادة الخطرة هو الاتحاد السوفيتي السابق ضمن مفاعلاته النووية وذلك في عام 1968م بمركز "دوبنا " للأبحاث النووية، وبعد انهياره قام عدد من الجنرالات السابقين بعمليات تهريبه لعصابات دولية. وفي عام 1996 كشفت وزارة الطاقة الأميركية عن استخدامات تلك المادة الغريبة على الرغم من أنها عرفت قبل 15 سنة في السوق السوداء، وفي العام التالي قام بعض العلماء الأمريكيون بنشر تقرير يشير إلى القيمة السوقية للزئبق الأحمر، حيث بلغ ثمن الكيلوجرام الواحد منه ما بين 100 ألف دولار إلى 300 ألف دولار في ذلك الوقت. ويعتقد دخول مادة الزئبق الأحمر ضمن التصنيع العسكري الثقيل مثل استخدامها في تفاعلات الانشطار النووي، وتصنيع الرؤوس النووية، وصناعة

القنابل النيترونية، ودخولها في التركيب الكيميائي لطلاء الطائرات التي تعتمد على تقنية التخفي من الرادار.

ومن هنا يتضح أن الزئبق الأحمر بأنواعه لا علاقة له بمصر القديمة وتحضير الجان أو شفاء المرضى وتوليد الأموال، حين أن أسعاره إلى جانب ملايين الدولارات مجرد وهم وخرافة.

لعنة الفراعنة.. الخرافة والحقيقة



ذلك المصطلح المخيف والغامض، وتلك العبارة التي تحولت إلى مادة خصبة استخدمتها روايات الرعب وصناعة السينما، حتى تحولت إلى مصطلح شائع مقترن بحضارة مصر القديمة وعلم المصريات، وأصبح حديث الناس في العالم كله حينما يذكر اسم أحد ملوك مصر القديمة، ولكن هل لعنة الفراعنة حقيقة أم خيال؟

متى ظهرت لعنة الفراعنة؟

كان للمصريين القدماء عادة في كتابة عبارات تهديد ووعيد على مداخل مقابرهم ضد أي شخص يحاول الاقتراب من مقابرهم أو أن يفتحها، مثل عبارة "أحذر من يقترب من مقبرتي بأن عنقه سوف يلوى مثل عنق الإوزة" من مقبرة "خنتي كا" من الأسرة التاسعة، وعبارة "سيضرب الموت بجناحيه السامين كل من يعكر صفو الملك" وهي العبارة التي رآها هيوارد كارتر حين عثر على مدخل مقبرة الملك توت عنخ آمون سنة 1922 ولم يكترث بها، ورغم أن اكتشاف المقبرة كان يعد واحداً من أعظم الاكتشافات الأثرية على مدار التاريخ، إلا أنه جرّ وراءه سلسلة من الحوادث الغريبة والغامضة.

فمع أول يوم لفتح المقبرة، أرسل كارتر خادمه لبيته بالأقصر حيث كان يحتفظ بعصفور كناريا في قفص بشرفة البيت، ومع اقتراب الخادم من البيت سمع صوتا أشبه بصوت نحيب، ولما دخل البيت وجد عصفور الكناريا ميتاً بعدما قتله ثعبان

كوبرا دخل من الشرفة، وانتشر الخبر بأن ثعبان الكوبرا الذي قتل العصفور هو نفس الكوبرا الملكية الذي كان رمز حماية للملك المصري والذي يزين جبهة قناع توت عنخ آمون، وأنه انتقم للملك وقتل عصفور كارتر وفتح بابا لرحلة الانتقام.

وأول حالة وفاة مقترنة باللعنة كانت وفاة اللورد كارنافون ممول عملية كشف المقبرة، حين قام بحلق ذقنه وأصيب ثم قرصته بعوضة فتعرض دمه للتلوث وأصيب بحمى شديدة وارتفاع حاد في درجات الحرارة ومات بعدها بأقل من شهر في فندق الكونتيننتال بالقاهرة، وحينها انقطع التيار الكهربائي بشكل مفاجئ عن القاهرة كلها لفترة قصيرة دون سبب، والأغرب أن كلبه مات على سريره في لندن في نفس التوقيت.

في ذلك الوقت نشرت جريدة نيويورك تايمز الخبر وبدأ مصطلح لعنة الفراعنة في الانتشار بشكل جنوني وسط العامة حتى أن "آرثر كونان دويل" مؤلف سلسلة شارلوك هولمز البوليسية قال أن المصريين القدماء سخروا قوى غامضة كي تحمي مقابرهم. هيوارد كارتر نفسه تأثر بفكرة لعنة الفراعنة وخطورتها وحتى أنه في سنة 1926 رأى في المنطقة حيوان ابن آوى يراقبه، وهو الحيوان الذي كان المصريون القدماء يعبدونه باسم أنوبيس حارس الجبانة، وهذا لأول مرة منذ 35 سنة خلال عمله بالأقصر.

وخلال عشر سنين من فتح المقبرة، حدثت حالات وفاة غريبة متتالية لمجموعة من الذين زاروا المقبرة اقترنت بلعنة الفراعنة، بدأت باللورد كارنافون وبعده عالم الآثار آرثر ميس والذي أصيب بحالة إعياء ومات في نفس الفندق الذي مات فيه كارنافون، ثم المليونير الأمريكي جورج جولد الذي مات بالحمى، ثم قُتل الوجيه علي كامل فهمي حين قتلته زوجته الفرنسية بالرصاص. أما أوبري هربرت عضو البرلمان، وأخ كارنارفون غير الشقيق، أصابه العمى تمامًا ومات بسبب تسمم في

الدم، في حين أن السير دوجلاس ريد، وهو الطبيب الذي فحص مومياء توت عنخ أمون بالأشعة السينية، توفي بسبب مرض غامض، وميرفين هربرت، الأخ غير الشقيق لـ"كارنافون" وشقيق أوبري هربرت" مات بسبب "ملاريا الالتهاب الرئوي"، وريتشارد بيثل السكرتير الشخصي لكارتر وُجد ميتاً في سريره نتيجة قصور في القلب بينما انتحر أبوه البارون ريتشارد حزناً على موت ابنه، أما زوجة كارنافون ماتت بلدغة حشرة سامة.

وهناك من يُرجع فكرة لعنة الفراعنة لما قبل اكتشاف مقبرة الملك توت، حيث ذكرت لنا مصادر التاريخ حالات فردية لأشخاص تعرضوا لظواهر غريبة أو أصيبوا بأمراض خطيرة أدت لوفاتهم نتيجة تعاملهم مع الآثار المصرية القديمة، فكتب المؤلف الفرنسي لويس بينشر في العام 1699م بكتابه Traite des Embaume-mens أو (دراسات في التحنيط) عن قيام رحالة بولندي بشراء زوج من المومياءات بأغراض بحثية طبية وبدأ رحلة بحرية مع هذه المومياوات من الإسكندرية، لكنه خلال الرحلة أصيب بكوابيس متعددة لاثنين من الأشباح يهاجمون السفينة، بالإضافة إلى حدوث عاصفة بحرية عنيفة لم تهدأ حتى آمن الرجل بأنها لعنة المومياوات، فقام بإلقائها في البحر للتخلص من آثار اللعنة.

أما العالم الالماني والمدير الأسبق للمتحف المصري ببرلين أودلف إيرمان، فيذكر ما حدث لزميله هينريش بروجش في أواخر القرن التاسع عشر، والذي كان من أهم علماء الآثار في تلك الفترة، حيث قام بأعمال حفائر بمدينة "سايس" ولكنه كان ينام داخل المقابر وأصيب بلوثة جعلته جعلته يتصرف دون وعي، ومن قبله كان العالم يوهانس دهيتش والذي أقام العديد من الحفائر بالصعيد والنوبة وأقام أغلب وقته داخل المقابر، لكن شخصيته بدأت تتغير تدريجياً، حيث أصيب هو الآخر بأعراض هذيان جعلته يتحدث عن اكتشافات أثرية لا وجود لها، وأصبح

يتحدث بشكل متقطع دون أن يُفهم كلامه وهو ما ظهر في كتاباته، حيث تعاقد معه الناشرون لنشر كتبه لكنهم وجدوا أنها لا تحتوي على أي شيء له معنى!

ويبدو أن حالات الهذيان والفصام المسجلة لدينا مرتبطة بما يعرف بعقاقير أو أعشاب الهلوسة، وهو ما يقترن بمهارة المصريين القدماء في علوم الطب والأعشاب واكتشافهم هذا النوع ومحاولة زرعه في مقابرهم كنوع من الحماية، وهو ما أصاب مكتشفيها بتلك الحالة.

أما الطبيب الألماني تيودور بلهارس (1862-1825) مكتشف دودة البلهاريسا في مصر، فقد صب مجهوداته على دراسات حول أمراض العشرات من المومياوات المصرية القديمة وتوصل إلى أن تلك الدودة المتكلسة كانت تقبع داخل معدة وكلى مومياوات المصريين وهي نفسها الموجودة بطمي النيل والسبب الرئيسي في وفاتهم في العصر الحديث، ولكن يبدو أن هذا العمل قد أصابه بحمى شديدة لم تكمل أسبوعين حتى مات عن عمر السابعة والثلاثين. في حين أن الأثري الألماني ريتشارد لبسيوس (1884-1810) والذي قام بالعديد من الحفائر بمصر والسودان ودرس العديد من أهرامات الجيزة وأبي صير وسقارة ودهشور، وعمل طيلة سنين في مقابر وادي الملوك ونقل العشرات من آثارها لكنه أصيب بشلل نصفي ومات نتيجة مرض بجهازه الهضمي. ونعرف أن العالم الأمريكي جيمس هنري برستد صاحب العديد من المؤلفات أشهرها كتاب فجر الضمير عمل في العديد من المواقع الأثرية المصرية وزار مقبرة الملك توت وعمل على دراسة آثارها بطلب من كارتر نفسه قد أصابته حمى شديدة لم تمنعه من ممارسة عمله حتى فشل في المقاومة وسافر ليكمل علاجه بالولايات المتحدة فزاد عليه المرض مصحوباً بالشلل ومات. وكانت زوجته الملازمة له في كل رحلاته قد ماتت قبله بعام ونصف بنفس المرض[21] .

---

21) فيليب فاندبرج، لعنة الفراعنة، ص65-50.

لعنة الفراعنة تضرب المصريين:

يبدو أن فكرة لعنة الفراعنة قد طالت العلماء المصريين أنفسهم حسب ادعاء البعض، حيث قام الأثري زكريا غنيم أمين منطقة سقارة بالكشف عن هرم الملك "سخم خت"، وقام باحتفال كبير دعا إليه الرئيس جمال عبد الناصر، ووصل غنيم لحجرة دفن الملك وشاهد في منتصف الغرفة تابوتا ضخما من الألباستر، ليقوم بفتحه لأول مرة أمام كاميرات الصحفيين، وعند فتح التابوت ببطء، وقف الجميع مندهشًا في انتظار المفاجأة، حيث كان في اعتقادهم أن التابوت يحتضن مومياء الملك سخم خت، مما سيجعله أهم كشف في التاريخ بعد الكشف عن مقبرة الملك توت، ولكن التابوت بدا فارغًا ولم يعثر على شواهد تدل على صاحب الهرم، ولا توجد بالتابوت أية أسرار غامضة، مما أصاب غنيم بالصدمة. ولم ينته الأمر عند ذلك، ولكن هناك من اتهمه بالتورط في فقدان بعض القطع الأثرية المتعلقة بالهرم المكتشف، مما زاد من سوء حالته النفسية وجعله يقدم على الانتحار.

ويذكر لنا فيليب فاندنبرج في كتابه لعنة الفراعنة أثناء حواره مع د. جمال محرز الذي شغل منصب مدير مصلحة الآثار بالمتحف المصري - أنه كان يعد مقالاً عن عدم اقتناعه بوجود لعنة الفراعنة ولكنه بعدما انتهى من كتابة المقال أصيب بالسكتة القلبية وسقط بعدما فارق الحياة وتصادف هذا اليوم المحاولة الثانية لنزع قناع الملك توت عن وجهه من أجل عرضه في لندن ضمن معرض بمناسبة الذكرى الخمسين لاكتشاف مقبرة الملك الذهبي.

أما الدكتور عز الدين طه عالم الأحياء بجامعة القاهرة، فقد أكد في مؤتمر صحفي كبير عام 1962 عدم وجود "لعنة الفراعنة"، موضحا أن هناك بعض الفطريات والسموم التي ربما يكون نشرها القدماء المصريون فوق مقابرهم وبعض أنواع البكتيريا التي تنشط فوق جلد المومياء المتحللة التي عاشت آلاف

السنين في حالة سكون، فتصيب مكتشفي هذه المقابر بالتهابات في الجهاز التنفسي مصحوبة بحمى عنيفة بالإضافة إلى حكة في الجلد يصحبها طفح جلدي وصعوبة في التنفس، كما أن تلك الأعراض قد أصابت أغلب من تعامل بشكل مباشر مع المومياوات وأوراق البردي المكتشفة. ولكن الغريب في الأمر أنه قبل أن يتمكن من إثبات نظريته لقي مصرعه في حادث سيارة بطريق القاهرة السويس بصحبة اثنين من مساعديه بعد تصريحاته بأسابيع قليلة وتبين من تشريح الجثة أن سبب الوفاة هو هبوط بالدورة الدموية.

وقد تأثر زاهي حواس بلعنة الفراعنة خلال عملية فحصه لمومياء الملك توت بجهاز الأشعة المقطعية في وادي الملوك بالأقصر في عام 2006، فلما ذهب إلى الأقصر قام سائق سيارته بصدم ولد صغير في الطريق، وبعدها سمع خبر وفاة زوج أخته، ولما وصل منطقة وادي الملوك وجد فريقا من التلفزيون الياباني في انتظاره ليقوم بتصوير ذلك الحدث الهام، وبعد إجراء لقاء حواري معه وقبل دخول المقبرة حدثت عاصفة رملية عنيفة وهطلت أمطارٌ غزيرة على غير المتوقع جعلت أفراد طاقم التصوير يجرون وهم يرددوا كلمة لعنة الملك توت، وبعدما دخل حواس وفريقه المقبرة ووضعوا المومياء داخل الجهاز انقطع التيار الكهربي لمدة نصف ساعة ثم عاد مرة أخرى، ورغم ذلك كله فإنه لا يؤمن بلعنة الفراعنة.

السفينة تايتانيك ولعنة الفراعنة:

نال غرق السفينة تايتانيك شهرة لا مثيل لها، خاصة أنه ضمن الروايات الشائعة والمخيفة التي ترجح أن سبب غرق السفينة العملاقة سنة 1912 هو أنها كانت تحمل ضمن ركابها بقايا مومياء لأميرة وكاهنة الرب آمون رع حلت لعنتها على السفينة مما أدى إلى غرقها.

فتبدأ القصة في عام 1910 حين اشترى العالم الإنجليزى دوجلاس موراى تابوت ملون لمومياء الكاهنة من تاجر كنوز أمريكى بسعر زهيد مقارنة بقيمتها، ومات التاجر الأمريكي قبل أن يقوم بصرف شيك الصفقة، بينما أصيب موراي بانفجار في بندقيته حين كان في رحلة صيد أدى إلى فقدانه لذراعه الأيمن بالكامل، ومع وصوله إلى انجلترا بصحبة التابوت عرف أن اثنين من أصدقاءه المقربين وزوج من خدمه قد ماتوا فجأة، مما جعله يشك في أمر التابوت، وتسلل إليه الإحساس بالخوف من فكرة اللعنة، فقام بالتخلص منه عن طريق منحه للمتحف البريطاني بلندن.

ومع وصول الشاحنة التي تحمل التابوت إلى فناء المتحف تعطلت واحترق محركها دون سبب، كما أصيب العاملان الذان كانا يحملانه إلى داخل المتحف، أحدهما انكسرت ساقه والآخر مات بعدها بيومين فجأة. وانتشرت مزاعم بأنه تخرج أصوات نحيب وصراخ من القاعة التي يقبع بها التابوت حتى أن عمال النظافة رفضوا أن ينظفوه من شدة خوفهم. ومع زيارة أحد السائحين للمتحف لاحظ تراكم التراب على الوجه الملون للأميرة على الغطاء فقام بمسحه بقطعة قماش، ولكن سرعان ما حلت عليه اللعنة فأصيب طفله بالحصبة ومات.

ومع كل تلك الحوادث أصبح من الخطر الإبقاء على التابوت داخل جدران المتحف، فتقرر بيعه لمتحف التاريخ الطبيعي بنيويورك، وقبل إتمام العملية توفى مدير المتحف والمصور الخاص به. وبعدها قامت العرافة وخبيرة الظواهر الخارقة "هيلينا بلافاتسكي" بزيارة المتحف لتفحص المومياء، وبمجرد دخولها إلى مكان المومياء أصيبت برعشة في أنحاء جسدها وجاء ردها سريعًا وحازمًا، أن هذه الأميرة والكاهنة المحنطة تسكنها قوى شريرة، ولا يمكن التخلص من هذا الشر إلا بالتخلص من المومياء نفسها، ولكن مع انتشار شائعة المومياء وموت كل من يقترب منها، رفضت كل متاحف انجلترا استضافتها. حينها قام أحد رجال الأعمال

الأمريكيين والمهتم بالآثار بتحدي لعنة المومياء وخطط لشرائها ونقلها للولايات المتحدة عبر أضخم سفينة عرفها التاريخ متجهة من لندن إلى نيويورك وهي السفينة تايتانيك.

ومن الأشخاص الذين روجوا لتلك الشائعة ونسجوا القصص الخرافية حولها زوج من الرجال أحدها كان الصحفي "وليام توماس ستيد" والذي كان أحد ركاب السفينة المنكوبة، ولم يكن ستيد مجرد صحفي ولكنه كان يعرف نفسه بأنه عالم روحانيات وما وراء الطبيعة، أما الآخر فكان يدعى "دوجلاس موراي"، ولا نعرف عنه الكثير سوى أنه أيضاً كان يقدم نفسه باعتباره صحفياً والذي رافق هو الآخر مومياء الكاهنة على متن السفينة تايتانيك. وقد ادعى كلاهما أن تلك المومياء تصيب كل مكان تمكث فيه بالخراب، ولكن مع زيارتهما إلى المتحف البريطاني، لم يجدا سوى غطاء التابوت فقط، فاختلق كلاهما قصة وهمية جديدة مفادها أن روحاً شريرة تلبست داخل المومياء وأصبحت منطلقة وتقوم بإيذاء من يقترب منها، تلك القصة الخرافية أدليا بها للصحفيين الذين استخدموها لجذب مئات القراء دون الإشارة إلى أي حقيقة.

وتبدأ رحلة ستيد مع المومياء الملعونة والسفينة تيتانيك حينما دُعي من قبل الرئيس الأمريكي هيوارد تافت لحضور مؤتمر عن السلام بنيويورك، وقد حذره أحد أصدقاءه الروحانيين من القيام برحلة على متن تلك السفينة نتيجة لعنة ما. وفي أثناء الرحلة، حكى الصحفي كثيراً عن المومياء ولعنتها للركاب الآخرين، حتى غرقت السفينة ليغرق معها وتبقى حكايته مع الناجين من الركاب الذين عادوا ليحكوا المزيد عن المومياء، وهكذا ربط الجميع بين الغرق ولعنة الفراعنة لتظهر هذه الأسطورة لسنوات طويلة.

ولكن مع فحص تفاصيل تلك القصة يتضح وجود تضارب بين أحداثها، مما

يجعلها غير قابلة للتصديق، فالعرافة هيلينا بلافاتسكي رأت المومياء قبل بيعها مباشرة كما تزعم القصة، في حين أن العرافة نفسها ماتت سنة 1891، والسفينة تايتانيك غرقت سنة 1912، لذا فإن تاريخ رؤية المومياء وغرق السفينة لا يتفقان، كما أن مع فحص مستندات السفينة عام 1985، تبين أن سجلات الشحن لا يوجد بها أي ذكر لوجود مومياء أو تابوت على متن السفينة.

والتابوت حالياً معروض في الحجرة رقم 62 بالمتحف البريطاني تحت رقم (EA 22542). ومن خلال الملامح المرسومة عليه نعرف أنه من طيبة ويرجع لنهاية الأسرة 21 أو بداية الأسرة 22 لكاهنة آمون، ويرجح أنها امرأة ذات أصول ملكية. أما المومياء نفسها، فقد رآها زاهي حواس في متحف جامعة مدينة بلفاست بأيرلندا الشمالية خلال زيارته من أجل إلقاء محاضرة هناك، وهو ما يعني أن التابوت والمومياء لم يتحركا من الجزر البريطانية من الأساس.

ولكن يخرج لنا السؤال: ما الذي جاء بالمومياء إلى أيرلندا؟ تأتي الإجابة في محاولة رواة الأسطورة لإيجاد مخرج مناسب ومقنع بأن المليونير الأمريكي قد دفع مئات الدولارات كي يتم نقل التابوت والمومياء عبر إحدى مراكب الإنقاذ التي كانت على ظهر تايتانيك إلى كندا ومنها تم نقلها إلى أيرلندا بواسطة السفينة "إمبراطورة أيرلندا".

وفي حقيقة الأمر لا يجب أن نربط حادث ضخم ومأساوي مثل غرق السفينة تايتانيك خلف لنا المئات من الضحايا والتلفيات بظواهر خارقة عن الطبيعة وسوء الحظ واللعنات دون أن نحكم جانب العقل والمنطق كي لا تتكرر مثل تلك الحوادث مرة أخرى.

كشف حقيقة اللعنة:

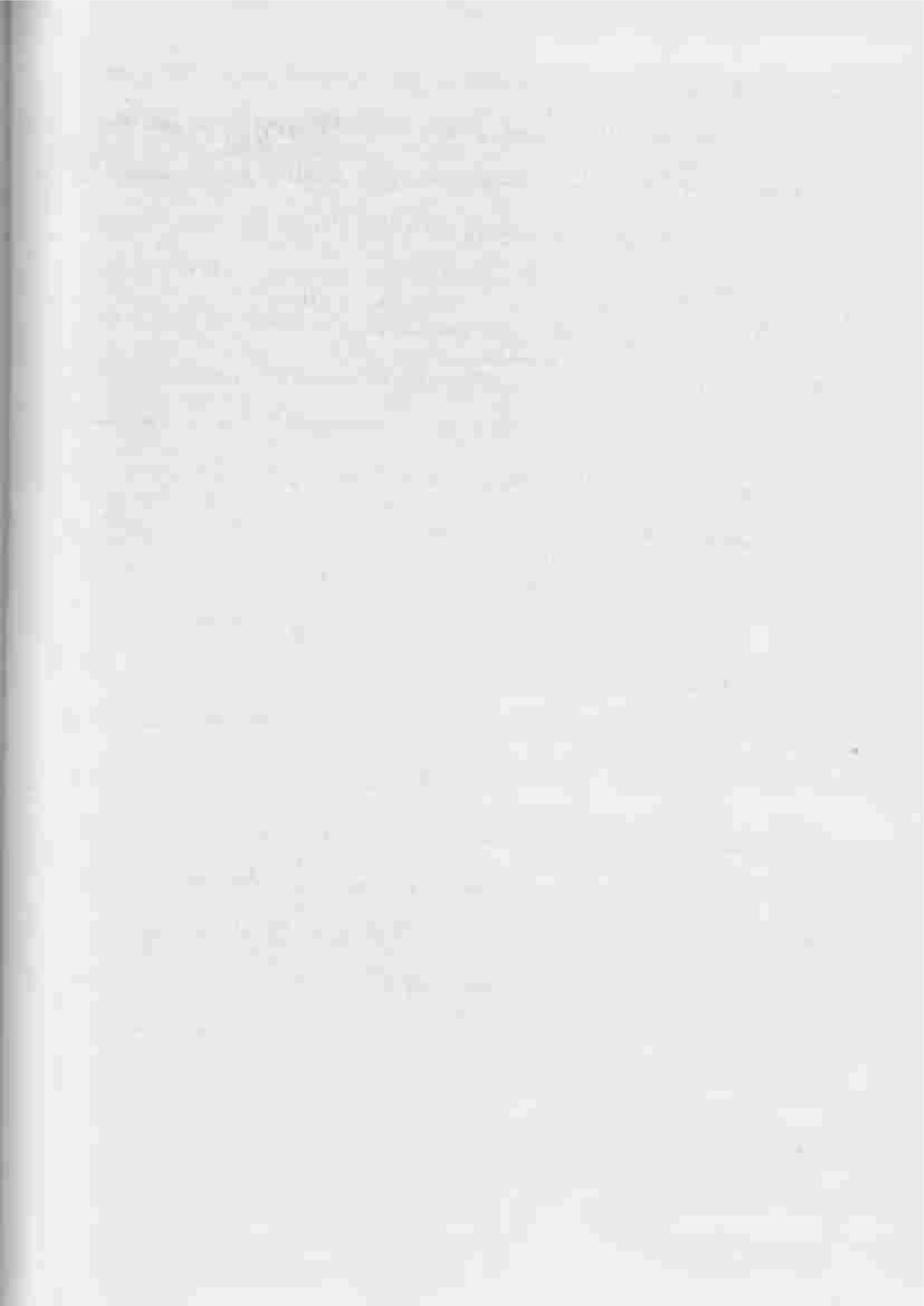
من زاوية أخرى، يرفض العديد من العلماء مصطلح لعنة الفراعنة واعتبروها مجرد حوادث خارقة للطبيعة حدثت بنوع من الصدفة حتى وإن تكررت، فمن الناحية العلمية فسر العلماء فكرة الموت المرتبط بفتح المقابر بأن هناك فطريات قاتلة زرعت في المقابر المغلقة لمعاقبة لصوص المقابر وتم إطلاقها في الهواء حينما انفتحت، أو أنها في الأصل موجودة بسبب غلق المقبرة لمدة قرون فتكونت ولوثت الهواء من غير قصد، وبالتالي لا يوجد أي ربط بينها وبين حالات الموت البعيدة عن عملية فتح المقابر مثلما حدث للورد كارنافون مثلاً سوى أنها سوء حظ. ولا شك في أن المواد الخطيرة المتراكمة في المقابر القديمة المقفلة حين خروجها بكثافة مع فتح المقبرة تكون مسببة لأمراض خطيرة للأشخاص ذوي المناعة الضعيفة. وأظهرت عينات الهواء المأخوذة من داخل فتحات التوابيت مستويات عالية من الأمونيا وكبريتيد الهيدروجين، وهي غازات سامة تسبب الوفاة المباشرة.

أما بالنسبة للنصوص التي عثر عليها في مداخل المقابر، فهي ديباجة يستخدمها أغلب المصريين القدماء كنوع من التخويف لم تمنع المكتشفين والمغامرين وقناصي الكنوز طيلة القرون من اكتشاف مقابرهم وسرقة محتوياتها دون أن تلحق بهم لعنات. بل إن فكرة اقتحام مقابر القدماء قد بدأت منذ العصور القديمة نفسها، خاصة مع فترات الضعف واضمحلال الدولة مع نهاية الدولة القديمة والوسطى والحديثة إبّان مصر القديمة، حين خرج العامة في حملات فوضى وقاموا بنبش مقابر الملوك ونبش مومياواتهم وسرقة كنوزهم ولم تفلح معهم نصوص اللعنات أو غيرها.

ومنذ قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر وقد فتح باب اكتشاف الحضارة المصرية القديمة للعالم والولع بها فيما يعرف باسم **Egyptomania** وهو ما أدى إلى قيام العديد من الاكتشافات الهامة والتي استطاعت أن تغير العديد من المفاهيم

وتصحيح العديد من المعلومات الخاصة بالتاريخ المصري القديم، فخلال القرن التاسع عشر بدأت رحلة الكشف عن الآثار المصرية ونقل بعض أهم المكتشفات إلى المتحف المصري بالتحرير وإلى خارج البلاد، حيث تم اكتشاف العديد من مقابر وادي الملوك ودخول الهرم الأوسط بالجيزة على يد الرحالة الإيطالي جيوفاني بلزوني عام 1818 ، واستمرت تلك الاكتشفات في القرن العشرين مثل اكتشاف خبيئة الكرنك عام 1905 على يد الفرنسي جورج ليجران والتي ضمت أكبر عدد من التماثيل الحجرية والأدوات البرونزية والتي وصلت إلى نحو 751 تمثالاً و1700 قطعة برونزية، ورأس الملكة نفرتيتي عن طريق الالماني لودفيج بورخاردت عام 1912 ومقابر حكام الأسرة الحادية والعشرين بتانيس على يد الفرنسي بيير مونتيه بين عامي 1939 و1940 والمعروفة باسم كنوز تانيس، ومراكب الشمس الخاصة بالملك خوفو بهضبة الهرم على يد المصري كمال الملاخ عام 1954، ومقابر العمال بالجيزة عام 1990 ووادي المومياوات [illegible] بالواحات البحرية عام 1999 وغيرها من الاكتشافات على يد [illegible] أن هيوارد كارتر نفسه عاش بعد اكتشاف المقبرة لمدة 19 سنة ومات عن عمر السادسة والستين، دون أن يصاب بأي أذى رغم أنه سرق العديد من كنوز المقبرة.

وبالتالي فإنه لا يوجد شيء اسمه لعنة فراعنة، وإن كانت فعلا لعنة فمن الأولى أن تضرب لصوص المقابر والمواقع الأثرية القديمة وسارقي الكنوز والآثار التي لا مثيل لها ولا تقدر بثمن، وليس هؤلاء من يحاولون حمايتها وإنقاذها والحفاظ عليها، ومن يقومون بالكشف عن عظمة الحضارة المصرية القديمة وتراثها وإظهار قيمتها أمام العالم.



ألغاز الملك الذهبي



لم يعرف العالم اسم الملك توت قبل عام 1922، حيث كان هذا الاسم مخفياً تماماً من سجلات ملوك مصر القديمة وقوائمهم، حتى نجح الإنجليزي هيوارد كارتر في العثور على مقبرة الملك الذهبي في تلك السنة ومعها اكتشف أهم كنوز لملك من مصر القديمة.

من المعروف أن الملك توت قد تربى في كنف عصر العمارنة وآمن بأفكارها حتى حمل اسمه بالكامل توت عنخ آتون أي الصورة الحية للرب آتون، رب العمارنة. ولكن مع انهيار دولة العمارنة وقيام ثورة كهنة آمون ضد كل ما هو آتوني، تحول الملك بعقيدته إلى دين أسلافه وعاد باسمه إلى توت عنخ آمون أي الصورة الحية لآمون في محاولة لإرضاء التيار الفكري القديم - الجديد. ولكن هذا الأمر لم يشفع له وتمت إزالة اسمه هو وأخناتون من قوائم الملوك حتى كادا أن ينمحيا من سجلات التاريخ.

كانت وفاة الملك المفاجئة بمثابة ضربة قاصمة للدولة، فلم يكن يتعدى عمره حينها الثامنة عشرة، حتى أنه لم يتمكن من إنهاء مقبرته، فاضطر رجال قصره لدفنه في مقبرة خليفته آي، والتي كانت أصغر حجماً لكنها كانت جاهزة لاستقبال جسدا متوفى حديثاً. ولم يكن الوضع خارجياً أفضل حالاً مما كانت في البلاد بالداخل، فقد كانت إمبراطورية وليدة تحوم حول مصر تعرف باسم الدولة الحثية تترقب عن كثب ما يدور داخل أروقة القصر المصري الضعيف. ويبدو أن صدمة موت الملك الصغير دفعت أرملته لاتخاذ إجراءً كان الفريد من نوعه على مدار التاريخ القديم،

فقد راسلت ملك الحِثيين تخبره بأن عرش مصر قد خلي وأنها على استعداد للزواج بأحد أبناءه لتجعله ملكاً على مصر، فقام الملك بإرسال أحد أبناءه لعروس مصر، لكن حدث أن خرجت عليه فرق عسكرية قتلته.

وبعد أن تمت مراسم دفن الملك الذهبي في مقبرته، صعد على عرش مصر رجل الدولة العجوز الملك آي ليمسك بزمام الأمور ويحكم قبضة الدولة لفترة قصيرة ويخلفه من بعده القائد الماكر حور محب ليمحو كل ما له علاقة بالملك توت عنخ آمون وكأنه لم يكن.

من قتل الملك توت؟

رغم أن اكتشاف المقبرة والمومياء ساعدنا في إماطة اللثام عن الكثير من غموض تلك الفترة، إلا أن ظروف موت الملك توت عنخ آمون ظلت لفترةٍ طويلة مجهولة ويكتنفها جانب من الغموض، وفتحت باب التكهنات حول سبب الوفاة، حيث ظهرت نظريات ترجح مقتله وأنّ وفاته لم تكن وفاة طبيعيّة، وأشارت أصابع الاتهام إلى كلٍ من آي وحور محب بأن أحدهما قد تآمر عليه للخلاص منه لكونه آخر سلالة العائلة الآتونية ومحو كل ما يتعلق بآتون، وهي النظرية التي تبناها كل من الدكتور أحمد صالح عالم الآثار المصرية والدكتور روبرت براير أستاذ المصريات وعلم الأمراض في جامعة لونج آيلاند في نيويورك، فمع فحص جمجمة المومياء تم الكشف عن إصابة بالغة بها اعتُقد أنها ضربة فأس من أحد أعداءه أدت إلى وفاته. وقد حاول كل من المفتش مايكل كينج وعميل مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي جورج كوبر التأكيد على حدوث تلك الجريمة بحق الملك الذهبي مستعينان بأدلة الطب الشرعي وخلفيتهما الواسعة في علم الإجرام.

كشف جريمة عمرها 5 آلاف عام:

في عام 1968م حصل العالم البريطاني روبرت كونولي على عينة من جلد الفرعون الذّهبي توت عنخ آمون، وأجرى العلماء فيما بعد تجارب كيمائيّة عليها، أشارت نتائجها إلى تعرض المومياء إلى الحروق بسبب خلل في التّحنيط، أما في 2005 فقد قام زاهي حواس بمجموعة تجارب وفحوصات على المومياء باستخدام الأشعة المقطعية CT-scan وتحليل الحمض النووي DNA واكتشف أنه لا توجد أية أدلة على تعرض الملك لعملية اغتيال أو عنف، في حين اتجهت الأنظار عن سبب الوفاة نتيجة إصابة الملك بكسر في عظام الفخذ الأيسر ربما بسبب سقوطه من على عربته الحربية والتي أدى تلوثها إلى تسمم الدم والإصابة بالغرغرينا، بالإضافة إلى إصابته بطفيل الملاريا. ومع فحص الجمجمة كشفت النتائج أن الفجوة الموجودة أسفل الجمجمة هي مجرد تجويف خاص بعملية التحنيط، وأن الجرح الذي يعولون عليه كان من جراء الأربطة المُحكمة واستعمال كمية كبيرة من الأربطة التي تكلست وضغطت كالحجر على هذا الجزء من الجمجمة. [22]

وقد أظهرت التحاليل أن طول الملك توت كان 170سم وسقف فكه لم يكن مكتملاً وعرض جمجمته أكبر من الطبيعي مما يشير لإصابته بمتلازمة مارفان وهي خلل جيني في العظم والرئة والأوعية الدموية نتيجة مشاكل وراثية. ويبدو أن تلك المشكلة الوراثية قد أثرت على حركة الملك الصغير منذ الطفولة، فلم يكن قادراً على السير بشكل طبيعي حيث وُجِد تحدب في عموده الفقري وإصابة في إصبع قدمه الكبير مما أدى إلى ضمور قدمه، حتى أنه عثر داخل مقبرته على مجموعة من العصي والعكازات التي كان يستخدمها الملك في حركته المتعرجة، كما كان يظهر

22) Hawass, Zahi, Yehia Z Gad, and Et Al. "Ancestry and Pathology in King Tutankhamun's Family." JAMA: The Journal of the American Medical Association303.7 (17 February 2010): 638-47.

أثناء ممارسته الأنشطة وهو جالس، مثل إطلاق السهم أو رمي العصا، ومناظر رحلات الصيد وهو يصطاد جالساً داخل العربة الحربية وليس واقفا مثل بقية الملوك، أما كل من كريستسيان تيمان وكريستيان ماير من معهد برنهارد نوخت Bernhard Nocht للأمراض الاستوائية بألمانيا، فقد اعتمدا في بحثهما على دراسة حواس ولكنهما خلصا إلى أن الملك الذهبي لم يعان من أمراض الملاريا والعظام فقط، ولكنه أصيب بفقر الدم المنجلي في الوقت الذي انتشرت الملاريا بشكل مميت في مصر خلال عهده، ويبدو أن إصابته بفقر الدم المنجلي جعلته غير محصن ضد الملاريا والتي أدت لوفاته.

لذا فإن سيناريو وفاة الملك متوقع أن يكون كالتالي: كان الملك في رحلة من رحلات الصيد، ونظراً لعدم قدرته على الحركة بشكل طبيعي فقد اختل توازنه داخل العربة مما أدى إلى سقوطه وتعرض ساقه اليسرى للكسر، ويبدو أن أطباء القصر لم يكونوا على قدر من الاستعداد لما جرى للملك من حادث مفاجئ مما أدى إلى تدهور حالته بشكل سريع ووفاته السريعة والمفاجئة، أما نظرية اغتيال الملك فهي مجرد نظرية واهية هدفها إثارة الغموض، كالأفلام التي ينتجها الغرب ويتبهر بها الشرق.

هل وُلد الملك توت سِفَاحاً؟

على مدار سنوات، لم يُعرف مدى علاقة الملك توت بإخناتون، حيث اعتقد البعض أنه ابن نتج عن علاقة غير سوية للملك الأخير، حيث أقام الملك إخناتون علاقة مع ابنته وهي في نفس الوقت أخت الملك توت، أي أن الملك توت هو "ابن أخته"، تلك النظرية التي خرج بها الدكتور ممدوح الدماطي أستاذ الآثار حيث قال أنه ابن شقيقته "مكت آتون"، التى توفيت خلال ولادته، وأسندت إلى

شقيقتها "ميريت آتون" مهمة إرضاعه لكي تستمر السلالة الملكية، في حين أشار العالم البريطاني نيكولاس ريفز بافتراض وجود "مقبرة خفية" خلف مقبرة توت معتمداً على عمليات فحص رادارات وأجهزة مسح ضوئي للجدار الشمالي لحجرة دفن الملك توت قام بها منذ عام 2009، حيث ادعى وجود آثار لبابين مغلقين يحتمل أنهما مدخل لمقبرة الملكة نفرتيتي، وهو ما أعلنه من خلال رسومات ثلاثية الأبعاد في عام 2015، قبل أن تتطور تلك النظرية لتصبح مقتنيات "توت" هي في الأصل مقتنيات "نفرتيتي" صاحبة المقبرة الأصلية، ومنها استنتج أن أم توت هي نفرتيتي نفسها.

ولكن في حقيقة الأمر أن تحاليل الحمض النووي DNAلكل من الملك إخناتون وتوت عنخ آمون أثبتت أن الملك إخناتون والد توت عنخ آمون قد تزوج من نفرتيتي، فأصبحت بذلك الملكة، ولو أنجب منها ولدًا لصار هو خليفة أبيه، ولكن ما حدث هو أنها أنجبت ست فتيات. وتزوج إخناتون من زوجة ثانية وهي كيا وأنجب منها ابنه توت عنخ آمون، وهنا صارت هناك مشكلة، فلن يتولى توت عنخ آمون الحكم لأنه ابن الزوجة الثانية، وليس ابن الملكة، ولكي يتم حل هذا المأزق كان التصرف بأن يتزوج توت عنخ آمون من إحدى أخواته من بنات الملكة نفرتيتي، وبذلك يحق له اعتلاء العرش، فتزوج من أخته عنخ إسن آمون، والتي كانت تكبره بأربعة أعوام. ويعتبر احتمال وجود مقبرة الملكة نفرتيتي خلف مقبرة الملك توت أمرا ضعيفا، حيث أنه من الصعب أن تدفن الملكة نفرتيتي في منطقة وادي الملوك معقل عبادة الرب آمون وهي كانت من أتباع ديانة آتون الجديدة المضطهدة، فمن الأحرى أن تُدفن في جبانة تل العمارنة عاصمة الدين الجديد.



أخناتون.. نبي مصر القديمة



كان للملك إخناتون حظاً وافراً من الخرافات التي طالت تاريخ مصر القديم، ربما لأن عهده كان مليئاً بالأحداث غير العادية بداية من خروجه عن التقاليد المصرية السائدة واتباعه عقيدة مغايرة عما كان منتشراً في مصر طوال آلاف السنين، بالإضافة إلى تغير خريطة العالم القديم في عهده، مما جعله شخصية استثنائية في تاريخ مصر القديمة مازالت تتضارب فيه الآراء حتى الآن. ومن المعروف أن الملك أمنحتب الرابع (والذي سمى نفسه لاحقاً بـ أخناتون) كان الابن الأصغر للملك أمنحتب الثالث من زوجته الرئيسية الملكة تي، وقد تربى على يد أجداده لأمه يويا وتويا وهما من أصل آسيوي مما جعله يحمل بعض الأفكار الفلسفية القادمة من بلاد الشام والتي كانت جديدة على مصر القديمة. وقد شارك أمنحتب الرابع والده في الحكم ثم استقل بحكم مصر لمدة 17 عاماً.

الآتونية والتوحيد:

مع تولي أمنحتب الرابع العرش منفرداً بدأ في تطبيق فكره الجديد: وهو التعبد لرب الشمس آتون وذلك في العام الخامس من حكمه، حينها بدّل اسمه إلى أخناتون أي المخلص لآتون، ومع مرور الوقت انتقل إلى عاصمة جديدة أرادها أن تكون بقعة بكرا لم يطأها بشر من قبل سميت بآخت آتون أي أفق الرب آتون (وهي مدينة تل العمارنة بمحافظة المنيا حالياً) تاركاً طيبة عاصمة الإمبراطورية ومعقل عبادة الرب آمون.

ويبدو أن انتقال إخناتون وبلاط قصره إلى تلك العاصمة قد عزله تماماً عن أحوال البلاد وما يدور فيها، بدعوى أنه منشغل بعقيدته الجديدة وإيمانه بأنه الرسول الأوحد والوسيط المنفرد بين الرب آتون وبين الشعب، وقد أدى هذا إلى تسارع انهيار الدولة المصرية وضياع أملاكها وتفكك أجهزة الدولة مع زيادة أطماع جيرانها مع ضعف سياستها الخارجية.

وكانت دعوة إخناتون الجديدة في عامه التاسع من الحكم قد أصبحت أكثر تطرفاً عما هو معتاد وهي تتلخص في نبذه لجميع المعبودات سواء كانت الأساسية أو الفرعية في العقيدة المصرية القديمة والاكتفاء بعبادة آتون، والذي تجسد في شكل قرص الشمس ذي أذرع ممتدة تنتهي بأيدي.

وكان الاعتقاد بقوة الشمس لم يأت على يد أخناتون كما يعتقد البعض، ولكنه اعتقاد أقدم يرجع إلى زمن الأسرة الخامسة بالدولة القديمة، فنجده في متون الأهرام تحت اسم رع والذي يمد يده ليرعى الدولة والملك وينتظر الصالحين من الموتى في رحلتهم بالعالم الآخر. واستمرت سيادة رب الشمس رع بعد اتحاده مع آمون رب طيبة في عهد الإمبراطورية المصرية في الدولة الحديثة ليتشكل تحت اسم آمون رع. وجاءت فكرة أخناتون عن ربه الجديد ليكون رب العالم كله وليس رب الإمبراطورية أو مدينة بعينها فقط كما كان بالسابق (نقل لأسفل). أما اسم آتون فلم يكن هو الآخر اختراع أخناتون كما يعتقد البعض، ولكنه ظهر أيضاً خلال الأسرة الثانية عشرة بالدولة الوسطى في قصة سنوحي الشهيرة، حيث كان آتون أحد أوجه رب الشمس رع، كما برز اسم آتون بشدة خلال الدولة الحديثة من قبل أخناتون حينما تسمى القارب الملكي الخاص بالملك أمنحتب الثالث باسم "روح آتون"، كما قام بالاهتمام بالرب آتون وتخصيص عقيدة خاصة له وهو ما جذب انتباه أمنحتب الرابع له فيما بعد. وعلى الرغم من قيام ملوك مصر باصطفاء أحد

المعبودات ليكون رب الدولة والراعي الملكي مثلما حدث مع الدولة القديمة مثل (رع) والدولة الوسطى (منتو) والدولة الحديثة (آمون رع)، إلا أنه لا أحد منهم قد قام بنبذ بقية المعبودات وإهمالها، مما جعل ما قام به إخناتون أمراً جديداً في العقيدة المصرية القديمة، وجاءت فكرة أخناتون عن ربه الجديد ليكون رب العالم كله وليس رب الإمبراطورية أو مدينة بعينها فقط كما كان بالسابق. ويرى بعض العلماء أن علاقة أخناتون بربه آتون جسدتها بشكل واضح الأناشيد الآتونية، حيث يمتدح أخناتون نفسه في أغلب أبيات الأناشيد في ضوء عبادته، مما يثبت فكرته بأنه هو الرسول الأوحد له، حتى ليعتقد البعض بأن تلك الأناشيد تسلط الضوء على أخناتون في المقام الأول ويأتي آتون خلفه.

وحين النظر إلى تلك القضية من زاوية أخرى جديدة، نرى أن فكرة أخناتون في التوحيد كانت فكرة اقتصادية في الأساس غلّفها الاعتقاد الديني، حيث أن اقتصاديات المعابد كانت توازي اقتصاد الدولة نفسها من خيرات مزارع وورش تصنيع تماثيل للمعبودات وقرابين وغيرها مما جعل منها دولة داخل الدولة ونصب كهنتها ملوكاً في الظل، لذا فإنه مع تقليص صلاحيات الكهنة وحصر خيرات المعابد لصالح معبود واحد فإن كل تلك الخيرات ستصب في مصلحة كاهن واحد وهو أخناتون.

أخناتون والنبي موسى:

يعتقد البعض أن أخناتون لم يمارس فكرة التوحيد بالشكل الذي نصت عليه الديانات السماوية، فلم يوجه شعبه ضد التعبد للمعبودات الأخرى ولكنه حثهم على عبادة آتون من خلال عبادته هو وزوجته نفرتيتي فقط، كما أنه فقط امتنع عن تقديم القرابين لبقية المعبودات المصرية وعمل على إهمال معابدها وحصر كل اهتمامه بمعبوده آتون. بينما يعتقد البعض الآخر أن فكرة التوحيد جاءت نتيجة تأثير عقيدة بني إسرائيل على الفكر المصري القديم أو العكس، وهذا ما ظهر جلياً خلال المقارنة بين أناشيد أخناتون[23] ومزامير النبي داوود[24] خاصة مع المزامير 104 و145،

حيث تبنى تلك الفكرة سيجموند فرويد رائد علم النفس في كتابه "موسى والتوحيد" وادعى أن موسى كان أميراً من البيت المالك وأحد أقارب أخناتون ومن كهنة الأتونية المؤمنين بالرب الواحد وآمن بدعوى أخناتون، وبعد موت سيده الأكبر خاف من الذهاب إلى العاصمة طيبة حتى لا يتعرض لاضطهاد وانتقام كهنة آمون فتوجه إلى يهود جاسان[25] وبينهم المصريون المؤمنون ليصبحوا جماعة واحدة ويخرجوا من مصر فيما يعرف بالخروج الكبير، حينها نجح موسى مع بني إسرائيل فيما فشل فيه أخناتون مع شعبه. كما ربط فرويد بين "أدون" أي السيد أو الرب عند اليهود وبين "آتون" من الناحية اللغوية، بينما استبعد عالم الآثار والديانات القديمة الألماني "جان أسمان" هذا الربط.

---

23) هي التراتيم التي كتبها أخناتون لرب الشمس آتون كنوع من تأكيد وحدانيته وخلقه للعالم، وقد وجدت منه نسخة شبه كاملة في مقبرة آي بمقابر تل العمارنة في 13 عمود رأسي.

24) عثر عليها عام 1984 في قرية "المضل" جنوبي مدينة بني سويف، في مقبرة تعود إلى العصر المسيحي الأول في القرن الرابع الميلادي، وتضم تلك المخطوطة 150 مزموراً، زُعم كتابة نبي الله داود لـ 73 مزمور منها، أي أكثر من 48%، لذلك نُسبت إليه، وحملت الأسفار اسمه.

25) بمحافظة الشرقية حالياً

ويخرج سيد القمني بنظرية أكثر خطورة، والتي تجعل من أخناتون هو نفسه النبي موسى ويدلل على ذلك بالعديد من الشواهد أولها التشابه بين عبادة أخناتون وبين التوراة فى مصادرها الأولى التى لم تذكر العالم الآخر إلا متأخرا، وأنه بعد سقوطه من على العرش أخذ معه المؤمنين بدعوته من المصريين وبقايا اليهود الذين بقوا بعد طرد الهكسوس واستعملهم الفراعنة فى أعمال السخرة وخرج بهم إلى سيناء ليؤسس لهم الديانة الجديدة، وأن فرع لاوى المختص بشئون الشريعة هم المصريين، وعند عودته من الجبل بعد أن تلقى ألواح الشريعة وجد المذبحة التى قام بها اليهود ضد المصريين فكسر ألواح الشريعة، ويؤكد أيضا أن أوصاف تابوت العهد الذى كان يحمله ربهم يهوه والواردة فى التوراة هي أوصاف ومقاسات توابيت الفراعنة نفسها، بل والأخطر هو اعتماده الكامل على نظرية العالم الروسي اليهودي إمانويل فيلكوفسكي المذكورة بكتابه "أوديب وإخناتون" في اعتبار شخصية أوديب الأسطورية شخصية تاريخية حقيقية وعمل على الربط بين أسطورة أوديب وشخصية أخناتون بكثير من الافتعال، إذ عمَد إلى جمع بعض التشابهات من قصة حياة أخناتون منذ طفولته إلى وفاته بكثير من التعسف، ومحاولة إثباته إقامة أخناتون أو موسى علاقة غير سوية مع أمه تي، وجمع نظريتا كل من فرويد وفليكوفسكي في نظرية واحدة وتوحيد ثلاث شخصيات في شخصية واحدة وهو ما ترفضه التقاليد المصرية القديمة جملة وتفصيلاً، حيث أن زواج المحارم لم يكن متعارفاً عليه في مجتمع مصر القديمة.

أخناتون والنبي يوسف:

يعتقد بعض العلماء خطأ أن النبي يوسف هو نفسه الملك أخناتون، وأن جميع الحوادث المرتبطة بأخناتون هي تخص النبي يوسف، فيما يتجه فريق آخر إلى أن يوسف عليه السلام، ليس أخناتون وإنما عاش في عصره، إلى أن بلغ 111 عاما من العمر، وهي النظرية التي اتبعها كل من الدكتور أحمد عثمان والدكتور سيد كريم، حيث يرى كل منهما أن يويا جد أخناتون هو نفسه النبي يوسف، كما أن عزيز مصر الذي عاش يوسف في قصره هو الملك "أمنحتب الثاني" وهو الذي حاولت زوجته إغواء يوسف ما تسبب في حبسه، قبل أن يقوم بتفسير الحلم للملك ومن ثم يكافأ بالإشراف على خزائن مصر، وبعد وفاة الملك تولى ابنه "تحتمس الرابع" الحكم الذي عين يوسف وزيرا له، إلا أن تحتمس الرابع توفي سريعا وهو لم يبلغ الثامنة والعشرين من عمره، ليتولى من بعده ابنه "أمنحتب الثالث"، وفي تلك الفترة أصبح سيدنا يوسف - أو يويا - من أهم رجال الدولة حيث تزوج الملك من ابنته "تي" وعينه وزيرا ومستشارا له والمسئول الأول عن شئون الدولة بعد الفرعون كما أطلق عليه لقب "أبا الفرعون"، وهو نفس اللقب الذي ورد في سفر الكوين بالتوراة حيث أطلقه ملك مصر على النبي يوسف (45: 8 فالآن ليس أنتم أرسلتموني إلى هنا بل الله وهو قد جعلني أبا لفرعون وسيدا لكل بيته ومتسلطا على كل أرض مصر). وادعى عثمان معتمداً على الرواية التوراتية أن الملك قد منح يوسف خاتماً بعدما نجح في تفسير حلمه وعجلة حربية وعقد من الذهب الخالص، وهو ما عُثر عليه في مقبرة يويا.

كما اعتمد أحمد عثمان في نظريته على التشابه اللفظي بين يوسف ويويا نظراً لأن كليهما ليسا اسمين مصريين وإنما من أصل عبراني، بالإضافة إلى تحليله لمومياء

يويا بالمتحف المصري بالقاهرة مثبتاً أنه ذا أصل آسيوي وليس مصري، كما أنه مات عن عمر 110 عاما وهو نفس العمر الذي حددته التوراة لوفاة النبي يوسف.

ولكن تعد نظرية أحمد عثمان مجرد احتمالات تميل للخرافة أقرب منها للحقيقة دون إثباتات علمية أو أدلة أثرية حقيقية، حيث أن التوراة تقول صراحة أن يوسف طالب أهله عند مماته بأن يحفظوا جثمانه وينقلوه معهم عندما يحين وقت خروجهم من مصر، وهو ما فعله النبي موسى بعدها بعدة قرون، أي أن جثمان يوسف طبقا للتوراة لم يبق مدفونا بمصر، بينما ظلت مومياء يويا في مصر آلاف السنين حتى عُثِر عليها بمقبرته رقم KV46 في وادي الملوك عام 1905، لتنقل مع محتويات مقبرته إلى المتحف المصري بالتحرير. كما أن لقب "والد الفرعون" لم يطلق على يويا وحده، بل أطلق على غيره من الشخصيات ذات الأهمية والمكانة العليا في التاريخ المصري القديم، مما يعني أنه لا يمكن الاستناد إليه كدليل على أن يويا هو ذاته يوسف.

ولدينا من الأدلة التاريخية والنصية ما يؤكد تواجد النبي يوسف عليه السلام في عصر الهكسوس، فلم تعرف مصر القديمة لقب العزيز الذي ذكر في القرآن الكريم باعتباره لقباً حكومياً أو رسمياً، أو كونه لقباً مشتقا من لقب مصري قديم. بينما يذكر لنا المؤرخ المصري مانيتون لقب أحد رؤساء قبائل الهكسوس وهو أسيس والذي يمكن أن نقارنه لغوياً بكلمة العزيز. كما أنه من المعلوم تاريخياً مهارة المصريين القدماء في تفسير الأحلام، وهو ما ذكر في كل من سفر التكوين بالتوراة وفي سورة يوسف بالقرآن الكريم، والالتجاء ليوسف لتفسير حلم الملك بينما عجزت حاشيته من الهكسوس في ذلك. وكانت فكرة دخول قبائل رعوية كبني إسرائيل داخل حدود مصر بقدر من السهولة بالإضافة إلى ترقي أحد الأجانب مثل النبي يوسف إلى منصب كبير الخزانة المصرية لم تكن لتحدث في عصر دولة مصرية

قوية كالدولة الوسطى بأسرتيها الحادية عشرة والثانية عشرة، حيث كانت تشدد على حركة الدخول والخروج من الحدود المصرية بالإضافة إلى احتكار المناصب العليا للدم المصري لأن المصري القديم كان ينظر للأجانب والقبائل الرعوية بنظرة دونية لأنهم أقوام يفتقرون للمدنية المصرية، ولكنه تم خلال فترة اضطرابات جسيمة تعزى لفترة حكم الهكسوس[26].

أخناتون والنبي إبراهيم:

من بين النظريات التي ترتبط بأخناتون تلك التي وردت على يد الباحث سعد عبد المطلب، وهي غاية في الغرابة تصل إلى حد الخرافة حيث الادعاء بأن أخناتون هو نفسه النبي إبراهيم، فيبدأ بوالد أخناتون وهو الملك "أمنحتب الثالث" ومسماه الملكي "نب ماعت رع " والذي يرى أنه ينطق في اللهجة السامية "نمرورا" ومنها تحرف إلى نمروز وهو ما يجعله الملك الطاغية "النمروذ". ويرسم الكاتب ترتيباً خرافياً للأحداث التاريخية وفقا لتخيله الخاص دون الالتجاء لأي مصدر تاريخي أو أثري، فيرى تحطيم أحد تمثالي ممنون، بأن الملك أمنحتب الثالث ادعى كما هو وارد بنقوش معبده بأنه قد وُلد بشكل مباشر من الرب "آمون"، وبالتالي فقد انتشرت عبادته بهذه الصفة، أما ابنه إخناتون فقد أدرك منذ صغره بطلان ذلك الأمر، حيث كان يرى كيف تُصنع تماثيل المعبودات وفطن إلى أنها لا تنفع ولا تضر، وأنه أراد أن يلقن مجتمعه درسا فقام بتحطيم التماثيل في معبد والده، مبقيا فقط على تمثال واحد من تمثالي ممنون سليماً، وهو ما يجعله متوافقاً مع قصة النبي إبراهيم بالكتب السماوية.

ويربط الكاتب بين زوجتي أخناتون الملكة نفرتيتي والملكة "كيا" ليجعلهما سارة وهاجر عليهما السلام بشكل غير منطقي، حيث يدعي أن السيدة هاجر

26) أحمد سعد الدين، فرعون ذو الاوتاد. ص 265-261.

ولدت ابنها إسماعيل عليه السلام في مصر، بينما ولدت سارة ابنها إسحق في شمال الجزيرة العربية، وهاجر أخناتون/ إبراهيم من مصر من مدينته التي أسسها والتي تدعى آخت أتوت بعد أن تآمر عليه كهنة آمون بمدينة طيبة وقائد الجيش حور محب، محاربين فكرته في التوحيد الذي دعا إليه، وهرب مهاجرا هو ومن معه إلى شمال الجزيرة العربية ليستقر بمكة، ويستدل على ذلك بوجود آثار مصرية بالجزيرة العربية، ومقابر هرمية ومصطبية ومومياوات منتشرة بالجزيرة العربية من عمان إلى البحرين إلى المملكة العربية السعودية وهي آثار لا وجود لها على الإطلاق.

ويزيد الكاتب في خرافاته حين يشير إلى أن الملك توت هو ابن آخ أخناتون، مع تحريف اسم توت إلى لوط ليصبح توت هو نبي الله لوط والذي خرج مع عمه أخناتون/ إبراهيم إلى الصحراء هارباً بعقيدته الجديدة، بعدها وقعت اشتباكات بين أتباع توت/ لوط وأتباع عمه أخناتون أو إبراهيم بسبب قلة المرعى والماء انفصل بعدها الفريقان، حيث توجه توت عنخ آمون وأتباعه إلى المنطقة الواقعة الآن بين الأردن وفلسطين فيما توجه أخناتون إلى الجزيرة العربية.

ثم نتيجة لظهور خلافات وصراعات نزح مرة أخرى إلى العراق، تاركاً ابنه إسماعيل ليحكم شمال الجزيرة العربية ومن بقي معه وارتحل هو ومن أراد الهجرة معه، وتكوين مملكة في العراق تحت مسمى آخر ويتحول أخناتون في فكر سعد عبد المطلب إلى جلجامش ثم يغير اسمه مرة أخرى إلى حمورابي في محاولة لدمج ثلاث شخصيات تاريخية في شخصية واحدة وكان في كلا الحالتين يظهر مقنعا حتي لا يعرفه المصريون، وأن مملكته في بابل تآمر عليها المصريون والحيثيين ودمروا دعوته، وهي كلها ادعاءات ليس لها أية أسانيد تاريخية أو مصادر أثرية مما يجعلها آراء شخصية بعيدة عن الحقيقة العلمية وأقرب منها للخرافة.

في عام 2006 قام زاهي حواس بالتعاون مع مؤسسة الجمعية الجغرافية الأمريكية National Geographic بالكشف على مومياء عُثر عليها بالمقبرة رقم KV55 بوادي الملوك عن طريق تحليل الحمض النووي لها والمسح بالأشعة المقطعية CT، واتضح بالكشف أن لها هيكل عظمي يعاني من اعوجاج جانبي بسيط في العمود الفقري مما يدل على وجود تغيرات جوهرية تدل على أنه قد توفي عن عمر تجاوز الـ60، بالإضافة إلى أن الجمجمة كانت ذات استطالة تشبه جمجمة الملك توت عنخ آمون، وهو ما رجح القول بأن هذا الهيكل يخص الملك أخناتون.

أما من الناحية اللغوية فإن القيمة الصوتية والمعنى لاسمه "أخ إن آتون" أي النافع لآتون" بعيدة تماما عن الاسم "إبراهيم" والذي يعني بالعبرية حسب ما ورد في التوراة أبو الجمهور أو أبو الأمم، بينما ينطق بالآرامية أبا راحيما ويعني الأب الرحيم أو الأب الحنون، كما اشتق اسم إبراهيم من الاسم أبرام والذي يعني الأب العالي أو الأب الرفيع باللغة الكلدانية[27].

ومن خلال تلك النتيجة ينتفي الرأي بأن الملك أخناتون هو النبي موسى أو يوسف أو إبراهيم، وذلك لأن كل منهم قد دفن خارج حدود مصر، حيث تشير المصادر التاريخية أن النبي إبراهيم قد دُفن في مدينة حبرون أو الخليل، بينما مات النبي يوسف في مصر وحمل بنو إسرائيل رفاته أثناء الخروج ليتم دفنه بمدينة شكيم بالشام كما أشير من قبل، في حين مات النبي موسى على رأس جبل بالأردن ودفن به.

---

27)https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/01_A/A_036.html.

هل كان أخناتون شاذا؟

انتهج الملك أخناتون نهجاً جديداً في فنون النحت والنقش متماشياً مع عقيدته الجديدة، حيث ظهرت تماثيل الملك ومناظره بشكل غريب لم يعتده ملوك مصر من قبل، فظهر بجسد مترهل وبطن منتفخة وأرداف منبعجة، مما فتح باب التكهن والافتراضات حول طبيعة أخناتون نفسها. فيرى البعض الآخر أن أخناتون كان يعاني من مرض ما في بطنه أدى إلى انتفاخها وهو ما يعرف بالاستسقاء.

وقد قام الدكتور إيروين برافرمان الطبيب بجامعة ييل بتحليل صور أخناتون وخرج بنظرية غريبة حول هذا السبب، حيث يعتقد أن الشكل الأنثوي لأخناتون قد نتج من تحول جيني والذي تسبب في تغيير جسد الفرعون من خلال تحول هرمونات الذكورة إلى هرمونات الأنوثة أكثر مما يجب، فكان له فخذان وصدر عريضون مما جعل له هيئة أنثوية، كما كانت رأس أخناتون ذات شكل ممسوخ بسبب التأم عظام الجمجمة في سن مبكرة. وما يزيد من تلك الفكرة هو اعتقاد بعض العلماء بوجود علاقة بين أخناتون وخليفته على العرش الملك الغامض سمنخ كارع معتمدين على بعض المناظر لهما وهما في أوضاع شاذة، ويعتقد أنه ابن الملك أخناتون من زوجته كيا وهي زوجة ثانوية وهو أخ لتوت عنخ آمون، وحمل لقب (عنخ خبرو رع) كما تزوج من ابنة أخناتون ميريت آتون وشارك والده أخناتون في العرش.

ولكن من المرجح بشكل كبير أن هذا الملك الغامض لم يكن سوى الملكة نفرتيتى باسم جديد لها لتحكم به كملك لمصر بشكل منفرد بعد وفاة زوجها وانقلاب الأوضاع من بعده، وذلك استنادا على أن اسم (عنخ خبرو رع) كان أيضاً أحد أسماء نفرتيتى. كما أنه مع دراسة حياة الملك أخناتون يتضح انه كان زوجاً طبيعياً للملكة نفرتيتي وأنجب منها ست بنات، مما ينفي عنه وجود أية مشاكل

بيولوجية، في حين أن ظهوره بشكل مزدوج الجنس في تماثيله بسبب رؤيته لنفسه بأنه رسول آتون المتفرد يحمل في نفسه عنصري الطبيعة الذكر والانثى.

ولم تكن تلك الفكرة قد ظهرت عند إخناتون لأول مرة في الفن المصري القديم، حيث سبقه تمثيل المعبود "حعبي" رب النيل بشكل مزدوج أي أنه يحمل بين ملامح جسده الذكر والأنثى حيث الوجه واللحية الرجولية، والصدر والبطن الممتلئة ذات الطابع الأنثوي كتمثيل للنيل وقدرته على تخصيب أرض مصر من خلال الفيضان وروح الخير المنبثقة منه.

سر فرعون موسى والهكسوس..
واليهود



لم تنل إشكالية في تاريخ مصر القديمة قدراً من اللغط والخرافات مثلما نال فرعون موسى والهكسوس. حيث تناول العديد من المؤرخين والكتاب القدماء والمعاصرين هذا الأمر بقدر من التعصب والانحياز بغرض تشويه الحضارة المصرية القديمة خاصة من قبل اليهود، معتمدين على إصحاحات العهد القديم من أجل إثبات فكرة العبودية والتعذيب من جهة وأحقية تواجدهم بين جنبات الحضارة المصرية من جهة أخرى.

حقيقة الهكسوس والعبرانيين:

يعتقد الكثيرون أن الهكسوس قد دخلوا مصر نتيجة غزو مباشر وانتصار عسكري كبير، نتج عنه احتلالهم لأرض مصر قادمين من الشام، واستولوا عليها بالقوة، وأن ذلك قد حدث في فترة بلغت مصر فيها من الضعف إلى حد مخيف، عندما كانت الحروب الأهلية تقطع أوصالها وزادت بها الانقسامات الداخلية تبعتها أزمات اقتصادية واجتماعية طاحنة، ولكن في الحقيقة أنهم جاءوا إلى مصر عبر موجات هجرات متتالية واستقروا على شكل جماعات شرقي الدلتا وبدأوا في السيطرة عليها مثل تل الضبعة[28] وصفط الحنا[29] وتل اليهودية[30] وقنتير[31]، واستغرق هذا الزحف نحو خمسين عاماً.

28) تقع على بعد 7كم شمالي فاقوس بمحافظة الشرقية.
29) إحدى قرى مركز أبو حماد بمحافظة الشرقية.
30) على بعد 25 كم من القاهرة وإلى الشرق من شبين القناطر وتتبع محافظة القليوبية.
31) إحدى قرى فاقوس بمحافظة الشرقية.

وكانت أغلب المعلومات حول تلك الجماعات التي تسللت عبر حدود مصر حتى وصلت إلى سدة الحكم طيلة تسعين عاماً مستقاة من كتابات المؤرخ اليهودي يوسيفوس والذي ادعى أن كلمة هكسوس تعني "الأسرى الرعاة" وهم بنو إسرائيل، حيث أراد أن يبرهن أن اليهود والهكسوس هم عنصر واحد، وأنهم خرجوا من مصر منذ حوالي ألف سنة وهو ما عرفناه من كتابه "ضد أبيون" الذي يحاول فيه الدفاع عن بني جنسه اليهود ضد الإغريق، فيذكر يوسيفوس أن كل الدلائل تشير إلى أن خروج موسى وبني إسرائيل من مصر بسبب طرد الهكسوس لهم من البلاد ولكن ليس هناك من البرديات أو البقايا الأثرية ما يؤيد مثل هذا الادعاء. وكان كتاب ضد أبيون قد تعرض للفقد ولم يتبق منه سوى فقرات قليلة، كما أن هذه الفقرات أو الاقتباسات التي بقيت لنا قد كُتبت بعد طرد الهكسوس من مصر بنحو ١٣٠٠ سنة تقريبًا، مما يجعل نصوص يوسيفوس غير دقيقة يشوبها التعصب وقلة الالتزام التاريخي، وعلى ذلك فإننا لا نعتمد على هذا المصدر بشكل أساسي لما فيه من مغالطات وتحيزات واضحة.

ولم يعبر المصريون القدماء بلفظ محدد عن جماعات رعوية بعينها، ولكنهم أطلقوا على تلك الجماعات المرتحلة عدة ألفاظ مثل عامو ومنتيو ورتنيو، بالإضافة إلى مصطلح "حقاو خاسوت" أي حكام البلاد الأجنبية والتي حرفت إلى كلمة الهكسوس على عكس ما ادعى يوسيفوس في تفسيره. ويرجح العلماء أن العبرانيون كانوا جزءً من تركيبة الهكسوس وليسوا هم الهكسوس، حيث أنهم كانوا على صلة وثيقة بجماعات مختلفة ورد ذكرها في الكتابات القديمة مثل كتابات بلاد النهرين وألواح العمارنة يسمون بالعابيرو (العبيرو) أو الخابيرو أو الإخلامو، وتبعا لهذا المفهوم أيضا فإن العبرانيين لا يمثلون عرقا أو جنسا من الأجناس بقدر ما يمثلون جماعات مختلطة من شعوب آسيوية سامية، على أن العبرانيين لم يقتصر نسبهم على بني إسرائيل كما هو شائع الآن خطأً، فبنو إسرائيل الأوائل وعلى رأسهم

يعقوب نفسه يُعدون من العبرانيين، بل إن أباه إسحاق وجده إبراهيم عليهما السلام يعدان تبعا لهذا عبرانيين، ولم يمثل بنو إسرائيل إلا فرعا صغيرا من العبرانيين، ثم لم يلبث اليهود بعد ذلك وأن نسبوا أنفسهم للعبرانيين دون غيرهم. ومن هنا نعرف أن بني إسرائيل جاءوا خلال حكم الهكسوس كجماعات مختلفة وتعاونوا معهم لكنهم لم يكونوا هم الهكسوس.

فرعون، اسم أم لقب؟

كان هذا الجدل وما زال يدور بين أفلاك علماء الآثار المصريين والأجانب، حيث يعتقد علماء المصريات أن لقب "برعو" أو "بر عا" في اللغة المصرية القديمة تعني "المنزل العظيم" أو "البيت العظيم" والذي ظهر خلال الدولة الحديثة في عهد الأسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة، وبالرغم من هذا فلا نجد دليلا في قوائم الملوك المتعددة أو بين آثار الملوك لخرطوش واحد من الخراطيش الملكية التي تحمل أسماء الملوك يشير إلى ذلك اللقب "بر عا" فنحن نعرف أن ملوك مصر قد حملوا خمسة ألقاب ملكية فريدة، وهي الاسم الحوري نسبة للمعبود حورس والاسم النبتي واسم حورس الذهبي واسم التتويج الذي كان يوضع داخل الخرطوش، بالإضافة إلى الاسم الشخصي الذي كان يولد به الملك، ولا يحمل ملكين نفس اللقب.

وفي ضوء الكتب السماوية، فقد ذُكر اسم "فرعون" في القرآن صراحة 71 مرة في 27 سورة، كما ظهر في العهد القديم في سفري التكوين والخروج وذلك دون إشارة لاسم ملك بعينه. ويبدو أن هناك محاولة ممن ينتمون إلى التيار المناصر لليهود في التقريب بين كلمة "بر عا" وتحريفها إلى كلمة فرعون وبين ما ذكر في التوراة من أن ملكا مصريا عمل على اضطهاد اليهود وتعذيبهم في مصر، حيث

أشارت التوراة لملوك مصر بلقب "فرعون"، ولكن التوراة لم تفرق في ذلك اللقب بين الملوك الذين كانوا يحكمون مصر خلال زيارة أنبياء الله إبراهيم ويوسف وموسى عليهم السلام، حيث أطلقت هذا اللقب على كل حكام مصر، وتحول إلى لقب تاريخي يُعرف به كل ملوك مصر القديمة خطأ، ومع ظهور هذا اللقب بشكل ثانوي خلال الدولة الحديثة في محاولة لتقريب فترة النبي موسى للدولة الحديثة، فإنه من غير المنطقي أن يتلقب به ملك مصر خلال قدوم النبي إبراهيم إلى مصر اي يسبق ظهور لقب "بر عا" بما يزيد عن أربعة أو خمسة قرون. ومن ثم فإن اعتبار فرعون موسى هو أحد ملوك مصر أمر أصبح بعيد الاحتمال. ولذا فإنه يمكن التقريب الزمني بين زمن فرعون وبين النبي موسى ليكون في عهد الهكسوس، أي أن حادثي النشأة والخروج قد حدثا في عهد أحد ملوك الهكسوس ويدعى فرعون وليس خلال الدولة الحديثة.

براءة فرعون:

يبدو أن تطاول اليهود قديماً وحديثاً على ملوك مصر القديمة ومحاولة إلصاق تهم التعذيب وسوء المعاملة بهم أصبح من أهم ما يحاولون صياغته في كتابة التاريخ القديم متناسين الأدلة التاريخية والأثرية، حيث وضعوا العديد من ملوك الدولة الحديثة في مرمى الاتهام بشكل مباشر معتمدين في تلك الاتهامات على نصوص التوراة وما يشوبها من تحريف وليّ للمعاني لما يخدم أغراضهم. وقد مالت الإتهامات نحو الملك ببي الثاني آخر ملوك الأسرة السادسة من الدولة القديمة باعتباره هو صاحب أطول فترة حكم بتاريخ مصر والتي وصلت نحو ثمانين عاماً، ليكون الفرعون الذي حدث في عهده حادثتي العذاب والخروج، وهذا أمر غير منطقي لأن بني إسرائيل لم يظهروا للوجود قبل عصر الهكسوس بعد الدولة الوسطى.

ومن أشهر ملوك مصر القديمة الذين اتهموا بتعذيب بني إسرائيل أحمس الأول، والذي اتهمه يوسيفوس اليهودي بأنه طرد بني إسرائيل خلال طرده للهكسوس باعتبارهم أمة واحدة، ولكن هذا الاحتمال خاطئ لأنه مع دعوة النبي يوسف لأهله كان يعمل نائباً لملك الهكسوس مما يشير إلى قيام دولة الهكسوس في تلك الفترة، بينما قام أحمس/ فرعون بطردهم من بلاده. فكيف لأحمس أن يطرد الهكسوس من مصر بينما يكون هو نفسه فرعون الذي طاردهم لإبقائهم في خدمته بعدما كانوا في خدمة وكنف أجداده؟! كما أن أحمس الأول كان يحكم مصر من طيبة ب الجنوب، فكيف له ان يلتقط موسى رضيعاً من فرع النيل بالشمال؟!

ويظهر رأي آخر بأن أحمس كان فرعون العذاب بينما كان تحتمس الأول هو فرعون الخروج، وهذا الأمر غير منطقي حيث لم تكشف لنا مومياء الملك تحتمس الأول عن موت فجائي أو غير عادي، بل كانت ميتته عادية وحُنط بشكل طبيعي. وهناك من يرى أن تحتمس الثاني هو فرعون موسى وهو الافتراض الذي اتبعه جون دي ميسللي عام 1960 حين توصل إلى تلك النظرية من خلال تحديد زمن الخروج بالإضافة إلى فحصه لمومياء الملك بزعم أنه مات بمرض جلدي وهو نفس المرض الذي أصاب فرعون موسى خلال اللعنات التسع التي تذكرها التوراة. وهذا التحليل خاطئ لأنه مع تحليل مومياء الملك تحتمس الثاني تبين لنا أنه مات بسبب تضخم في عضلة القلب وليس مرض جلدي كما أشيع.

ويظهر لنا افتراض جديد ينص على أن الملك تحتمس الثالث هو الفرعون المنشود، وذلك بافتراضية أن النبي موسى قد انتشلته الملكة حتشبسوت وتربى في بلاطها، ولما تولى تحتمس الثالث العرش فر موسى من البلاط بسبب عداوته للملكة السابقة؛ وبالتالي لمن كان ينشأ في كنفها. ويمكن رفض تلك الفكرة لأن

الملك تحتمس الثالث لم يكن في حالة عداوة شديدة معها كما يعتقد البعض (كما سيتضح عند الكلام عن الملكة حتشبسوت لاحقاً)، بينما امتدت مصر في إمبراطورية عظمى لتصل إلى حدود الفرات، وبالتالي هروب النبي موسى من تحتمس الثالث إلى كنعان لم يكن أمراً منطقياً.

ومن الخرافات الشائعة حول اتهام ملوك مصر بفرعون موسى، هو اتهام ملوك الأسرة التاسعة عشرة وخاصة كل من رمسيس الثاني وابنه مرنبتاح، أحدهما هو فرعون العذاب والآخر هو فرعون الخروج، ويمكن تفنيد تلك الخرافة بأن عاصمة رمسيس الثاني وهي مدينة "بر رعمسيس" التي ورد ذكرها في التوراة سفر الخروج حيث سخر الفرعون بني إسرائيل لبناء مدينتي "بر رعمسيس و فيثوم"، والحقيقة أن بر رعمسيس والتي اتخذها رمسيس الثاني بالفعل عاصمة لملكه ما كانت إلا إعادة تسمية لمدينة أواريس القديمة والتي كانت قائمة بالفعل وقد اتخذت أيضا اسم تانيس، والمسميات الثلاثة هي لمدينة واحدة.

ومع فحص مومياء رمسيس الثاني، تتأكد أنها لرجل عجوز متوسط الطول (173 سم) بلغ الثانية والتسعين من العمر، فهل يستطيع رجل فى هذه السن المتقدم ويعاني من روماتيزم حاد يمنعه حتي من المشي متزنا دون عصا يتكئ عليها أن يقود عجلته الحربية ويتتبع موسى عليه السلام وقومه من العاصمة حتى مكان الغرق فى البحر؟ كما تم التأكد من خلال البحوث الطبية على المومياء من عدم وجود أثار للغرق وأن الراحل كان يعاني من خراريج فى أسنان مقدمة الفم تكفي لأن تكون سببا في وفاته.

كما أن نظرية الطبيب موريس بوكاي من وجود فرعونين أحدهما للاضطهاد وهو رمسيس الثاني والثاني للخروج وهو مرنبتاح نظرية خاطئة، فيكفي أن نوضح أن دليل إدانة مرنبتاح الذي يتحجج به بوكاي هو نفسه دليل براءته، وهو ما نقشه

على لوحته الشهيرة والتي تعرف باسم لوحة النصر[32] أو ما تسمى خطأ بلوحة إسرائيل، ففيها يتباهى بانتصاراته على ممالك وقبائل وجماعات بمنطقة كنعان، فكيف لملك أن يسجل انتصاراته على لوحة تعرض اسماً لقوم نجحوا في هزيمته؟ فمع تحليلنا لعناصر اللوحة للرد على الادعاءات المنسوبة للملك مرنبتاح، نرى أن الملك يذكر أنه انتصر على أقوام وممالك في العام الخامس من حكمه ومن المعروف أن الملك مرنبتاح حكم لمدة عشرة سنوات لذا فإن نهايته بالغرق غير منطقية، كما أن الأبحاث التي أجريت على مومياته تشير إلى أن وفاته طبيعية وأنه كان يعاني من التهاب المفاصل وتصلب الشرايين. ونعرف من اللوحة قيام مرنبتاح بعمليات حربية ضد قبائل تعرف باسم "يزرعيل" أو "يزرار" والتي ترجمها البعض بأنها إسرائيل، حيث يشير في السطر 27 "دمرت يزرار ولا بذور لها"، وفي الحقيقة أن يزرار هي منطقة مرج ابن عامر أو سهل يزرعئيل كما وصف في التوراة والواقعة شمالي شرق جبل الكرمل، وكانت الحروب فيها ضد قبائل رعوية، أما كلمة إسرائيل فهي المملكة التي تأسست على يد شاؤول (في التوراة) أو طالوت (في القرآن الكريم) ومن بعده الملك النبي داوود في 1050 ق.م، أي أن الحرب كانت ضد قبائل وليست مملكة. ونعرف من اللوحة أن مسرح عمليات حروب الملك مرنبتاح كان في منطقة فلسطين، بينما نستدل من الكتب السماوية على تيه بني إسرائيل في سيناء لمدة أربعين سنة بعد الخروج وقبل انتقالهم إلى فلسطين، مما يدل على أنهم قضوا تلك المدة خلال عهد رمسيس الثاني وهو ما ينفي موته أو موت ابنه خلال تلك الفترة [33].

---

32) هي لوحة من الجرانيت تذكر انتصار الملك أمنحتب الثالث على الليبيين وحلفائهم، بينما تتحدث الأسطر الثلاثة الأخيرة من 28 سطرا عن حملة أخرى في كنعان قام بها الملك مرنبتاح بعدما استحوذ على اللوحة. وقد اكتشفها بيتري في الأقصر عام 1896م، وتوجد حالياً في المتحف المصري بالقاهرة تحت رقم CG 34025.

33) أحمد سعد الدين، فرعون ذو الأوتاد، ص 778-760.

هل شيدت السُخرة حضارة مصر القديمة؟



عرفت الحضارات القديمة بل وإمبراطوريات العصور الوسطى والحديثة فكرة العبودية وتجارة العبيد، وانتشرت في العديد من الحضارات فكرة التضحية البشرية في مختلف المناسبات. وقد حاول بعض المؤرخين والعلماء إلصاق تلك الفكرة بالحضارة المصرية القديمة أسوة بغيرها من الحضارات كحضارة الأزتيك والمايا والزابوتيك في أمريكا الوسطى، وهي إجراءات تشير إلى مدى العنف والدموية التي صاحبت تلك الحضارات، حيث كانت التضحية البشرية تكون بالأطفال والعبيد وأسرى الحرب، وكانت الضحية تدهن باللون الأزرق ويقتل فوق قمة الهرم في احتفالية طقوسية بضربه بالسهام حتى الموت أو بعد تقييد الساعدين والساقين بينما يشق الكاهن صدره بسكين حادة مقدسة من حجر الصوان فينتزع القلب ليقدم كقربان، في حين أن الحضارة المصرية مع تقدمها المادي والفكري كانت بعيدة كل البعد عن تلك الدموية والوحشية والاستعباد.

التضحية بالبشر:

لم تعرف حضارة المصريين القدماء فكرة التضحية البشرية سوى في بدايتها، حيث عثر على بقايا آدمية بجوار المقابر الملكية بمنطقة أبيدوس بسوهاج بجوار بقايا أكل وشرب وملابس وأسلحة، ويحتمل أن هؤلاء العبيد قد تمت التضحية بهم بعد وفاة ملوكهم كي يلتحقوا بخدمتهم مرة أخرى بالعالم الآخر بسبب إيمان المصري القديم بالابدية في العالم الآخر، ومع زيادة الوعي المصري تم الإقلاع عن

تلك العادة تماماً بعد حكم الملك "جر" من الأسرة الأولى، والاستعاضة عنها بفكرة أخرى وهي تماثيل صغيرة قليلة الجودة تمثل الخدم في أوضاع الخدمة من خبز وعجن وطحن دقيق وغيرها من الأعمال والتي يمكن أن نرى نماذجها بالمتحف المصري بالقاهرة، وقد ظهرت تلك التماثيل خلال الأسرة الرابعة وزادت بالأسرة الخامسة، أما في الدولة الوسطى فقد أصبحت فكرة تجسيد الخدم على مستوىً عال من الجودة من حيث الألوان والنسب التشريحية.

ولكن مع نهاية الدولة الوسطى وبداية الدولة الحديثة حدث تحول جديد في الفن والعقيدة، حيث ظهر نوع آخر من تماثيل الخدم يعرف باسم تماثيل "الأوشابتي" وهي عبارة عن مجموعة من التماثيل الصغيرة التي تحل محل المتوفى في الأعمال الشاقة في حقول الجنة المعروفة باسم حقول "الإيارو" وهي تعمل بأوامر المعبود نيابة عن صاحب المقبرة ويبلغ عددها 403 تمثال صغير، لكل تمثال دور يقوم به في يوم بالعام وبذلك يكون عدد التماثيل الأساسية 360 بالإضافة إلى تمثال واحد لكل عشر تماثيل كرئيس للخدم وخمسة تماثيل لكل يوم من أيام النسيء ورئيس لهؤلاء الخمسة وكاتب يسجل خروج كل خادم في مهمته في يومه المخصص له، وبذلك تكون المجموعة 403 تماثيل، وهذا يشير إلى إيمان المصري القديم بفكرة تنظيم العمل وإدارة الخدم.

العبيد وعمارة المصريين القدماء:

كثيراً ما يتجنى العديد من العلماء على الحضارة المصرية القديمة ويدعون بناء ركائزها المعمارية والاقتصادية بالسخرة والتعذيب، وهو أمر مناف تماماً للحقيقة، حيث عرفت مصر القديمة تكريم العمال من جانب بعض الشخصيات منذ عصر الدولة القديمة، ومثال ذلك مدير ضيعة يعرف باسم "مني" من عصر الأسرة

الرابعة حيث يذكر في نص أنه كافأ بسخاء كل من ساهم في بناء وزخرفة مقبرته: "لن يندم أبدا كل من ساهم في بنائها، سواء كان فنانا أو قاطع أحجار، لقد أعطيت كل شخص مكافأته"، ويؤكد أحد القضاة من الأسرة الخامسة، نفس المفهوم في نص آخر يشير إلى احترام طبقة العمال قائلاً: "جميع من عملوا في هذه المقبرة نالوا أجرهم بالكامل من خبز وجعة وملابس وزيت وقمح بكميات كبيرة، كما أنني لم أكره أحدا على العمل".

ولعل أكبر المشاريع الهندسية والمعمارية المصرية القديمة قد أقيمت بتنظيم حكومي لفرق عمل دون تعذيب أو سخرة، ولدينا من الدلائل الأثرية ما يجزم هذا الأمر، حيث تؤكد لنا مقابر العمال بناة الأهرام التي اكتشفها زاهي حواس سنة 1990 الدليل الجازم على مدى تنظيم الدولة المصرية للمشاريع الكبرى من خلال إدارة العمال في وحدات منظمة ورعاية حقوقهم في المعيشة، كما تعد نقطة تحول هامة في تسليط الضوء على طبيعة العمل وحقوق العمال في مصر القديمة، وقدمت أدلة تنفي كليا كل ما يشير إلى أن البناء خضع لنظام السُخرة، أولها أن هذه المقابر تقع مباشرة إلى جوار المجموعة الهرمية "الملكية" في الجيزة، وهو ما جعل بعض العلماء يؤيدون الرأي القائل بأن الملك ربما أوصى بدفن عماله إلى جانبه وفاء لهم دون تمييز طبقي، أو أنهم أرادوا أن يدفنوا بجوار ملكهم المحبوب كي يبعثوا معه في العالم الآخر وهو ما سمح به الملك. كما قدمت تلك المقابر أدلة على الحياة الدينية واليومية للعمال خلال بناء الهرم الأكبر، حيث أشارت النصوص إلى أن عائلات في صعيد مصر ودلتاها كانت ترسل المؤن لإعاشة العمال، وفي المقابل كانت الدولة لا تحصّل منهم ضرائب.

وكان يضم تجمع العمال عددا من المخابز والورش بالإضافة إلى مبنى كبير يتضمن مخازن الغلال ومخازن أخرى. فكان لابد من توفير قدر كبير من الغذاء

لإطعام العمال، حيث أن الخبز - والذي عثر على أرغفة منه لا حصر لها بكل أنحاء الموقع - يعد العنصر الرئيسي لغذاء العمال، كما كانت البيرة المشروب الأساسي لهم. وبالإضافة إلى الخبز والبيرة، كان يتم منح العمال قطع من الثوم والبصل. وربما ما عثر عليه من عظام الأسماك يدل على أنهم كانوا يأكلون الأسماك التي يتم صيدها من شط النيل المجاور وكان بمثابة جزءً من الطعام اليومي للعمال، ومن أشهر أنواع الأسماك بمنطقة الجيزة هو السمك البلطي، فقد عثر بمربع حفائر بالمنطقة على خطّاف سمك برونزي مشابه لما يتم استخدامه حالياً، بالإضافة إلى العثور على أطباق فخارية لتقديم الطعام للعمال بشكل مرموق. ومن المفاجآت التي ظهرت خلال حفائر تجمع العمال والتي تبدد وهم السخرة هو أن العمال قد تناولوا كميات كبيرة من اللحوم، وقد يكون ذلك يومياً. فقد كان من المعتقد أن طبقة الصفوة هي فقط التي كانت تأكل اللحم بأي كمية، ولكن الكم الكبير من العظام الذي تم العثور عليه بمنطقة العمال بالجيزة يشير إلى أنه كان يتم ذبح نحو 11 من الماشية و33 من الخرفان والماعز كل يوم، وهو ما يكفي لإطعام عشرة آلاف عامل[34] .

والثابت أن الإدارة القائمة على بناء الهرم كانت تستقدم الفلاحين للقيام بعمليات بناء الهرم خلال فترة الفيضان والتي تتوقف فيها أعمال الزراعة كنوع من محاربة البطالة، وكان يتم تغير العمال كفرق كل ثلاثة أشهر. ومن المثير في الأمر هو اكتشاف رفات عمال تشير إلى حدوث إصابات عمل وعلاجها، بل وخضوع البعض لعمليات جراحية لعلاج كسور بسبب إصابات عمل، وعمليات تركيب أطراف صناعية بل عثر على جمجمة بها ثقب دلت على وجود عملية دقيقة لإزالة ورم في المخ عاش بعدها العامل لأكثر من عامين، وهو مايدل على توفير السلطة الحاكمة نظاما للرعاية الصحية للعمال. وتشير النصوص المتاحة إلى استخدام

34) زاهي حواس، عائلة الملك خوفو. صـ 220.

مئات الآلاف من العمال كل عام، وقد انتهى العمل بعد عشرين عاما، وهي فترة زمنية طويلة أسهمت في رفض بعض العلماء فكرة السُخرة التي من طبيعتها إنجاز الأعمال في فترات زمنية أقصر نسبيا.

ولم يقتصر الأمر على العمال والفلاحين فحسب، بل ضمت تلك التجمعات مستوىً أرقى، وهم الفنانين الذين عملوا على إنتاج الفن الرائع الذي زين المجموعات الهرمية. حيث اتبعوا نظاما مشابها لنظام العمال وإن كان أقل قسوة، فكان البعض منهم رسامين يقومون بعمل اسكتشات للمناظر التي سيتم نقشها على جدران المعابد، ويليهم مجموعة من الحرفيين الأقل درجة والذين يقومون بتنفيذ الاسكتشات، ثم يأتي النحاتون والذين يقومون بنحت الصور على الحجر، وفي النهاية يأتي دور كبار الفنانين والذين يقومون بإضافة الألوان. وقد قام نحاتون وفنانون آخرون بنحت وتلوين التماثيل الملكية الموجودة بالمجموعات الهرمية لكل من خفرع ومنكاورع بالإضافة إلى التماثيل الخاصة التي عثر عليها بمقابر النبلاء بعصري هذين الملكين. وقد عاش هؤلاء الفنانين مع عائلاتهم بمنازل أكبر حجماً وأكثر راحة بنيت حول أفنية. وكان هذا التواجد الخاص بالفنانين أحد أكبر الأدلة على انتفاء فكرة السخرة والعبودية، فلا يمكن إنتاج أي نوع من الفن تحت نظام من السخرة.

أما في الدولة الحديثة، فقد قام الملك أمنحتب الأول بتكوين طائفة خاصة من العمال والفنانين ليقوموا بنحت وعمل مقابر الملوك في منطقة وادي الملوك بالبر الغربي للعاصمة طيبة (الأقصر حالياً)، واستقر هؤلاء العمال في قرية تعرف الآن باسم "دير المدينة"، وكانت محاطة بسياج وتتألف من سبعين منزلا بملحقاتها، وهو ما جعل أمنحتب الأول في رتبة تقديس بعد وفاته. وكانت منازلهم من الطوب اللبن وتتكون من أربع أو خمس حجرات ومطبخ وسلالم تؤدي إلى السطح

بينما كتب أسماء أصحاب المنزل وألقابهم عند الأبواب. وتشير الوثائق إلى أن هؤلاء العمال كانوا يعملون تحت مراقبة سلطة الوزير المكلف بإمدادهم بالأدوات اللازمة للعمل، كما كانت الدولة مكلفة بإمدادهم بالمواد الغذائية، وكانت طائفة العمال تتألف من 60 إلى 120 عاملا يقسمون إلى قسمين، وكل قسم يخضع لسلطة رئيس عمال يحمل كل منهما لقب "كبير الفرقة أو المجموعة" ويعلوهم طبيقة من الفنانين والنحاتين والرسامين. وتشير أوستراكا مؤرخة في العام الأربعين من حكم الملك رمسيس الثاني، محفوظة في المتحف البريطاني، كتب عليها رئيس العمال أسماء عماله، البالغ عددهم 43 عاملا، وأمام كل عامل عدد الأيام التي تغيبها عن العمل، وأعذار التخلف عن العمل بالمداد الأحمر، وكذا التأخير عن نوبة العمل، وكان من بين الأسباب "المرض بعدوى، أو لدغة عقرب، أو بسبب تقديم القرابين للمعبودات المختلفة، أو رعاية المنزل في حالة تعب الزوجة.

ومثلما كان الوضع في حي العمال بناة الأهرام، كانت الحياة الاجتماعية في منطقة دير المدينة في وضع لائق، فقد عرفنا من البرديات الكثير عن وضع المرأة في دير المدينة والتي لعبت دوراً هاماً في رعاية المنزل وتربية الأطفال وإدارة عملية التغذية، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إننا نجد أن بعضهن تزوجن من ملاحظي عمال أو كتبة مشاريع الإنشاءات وحصلن على وضع ديني معين مدرج في أسمائهن، كما حملن وظيفة مغنية أو منشدة وهي وظيفة رسمية داخل مقاصير أو معابد محلية بالمنطقة.

ومن مناظر التسامح والحرية في مجتمع دير المدينة هو ما كشفته الحفائر من وجود تعددية دينية، حيث أن عمال المنطقة تعبدوا إلى معبودات محلية جنباً إلى جنب مع معبودات الدولة دون وجود تعارض أو إقصاء، وعثر على العديد من

المقاصير الخاصة بالمعبودات حتحور وبتاح وسيشات، بالإضافة إلى أمنحتب الأول ورمسيس الثاني باعتبارهم في مصاف المعبودات.

وتمتع عمال منطقة دير المدينة برعاية صحية متميزة مثلما كان أجدادهم في حي العمال بناة الأهرام، حيث توفر لنا ما كتب على الأوستراكات (بقايا شقافات الفخار) معلومات عميقة حول الحياة الصحية للعمال حيث وجود أطباء قاموا بوضع وصفات طبية لعلاج مرضاهم من إصابات العمال عرفنا بعض تركيباتها، وسحرة كانوا يعالجون العمال بالتعاويذ السحرية من لدغات العقارب التي كانت منتشرة في الصحراء والذين عرفوا بالسحرة العقارب. كما عثرنا على بعض من هذه الوصفات الطبية والتراكيب الدوائية وإن كنا لا نعرف إن كانت تحضر في عيادة الطبيب أو كانت للعلاج المنزلي.

ومن المعروف عن مجتمع دير المدينة أنه كان يضم دائرة محكمة خاصة به تضم قضاة وكتبة، وكانت تختص بالقضايا المدنية والجنائية داخل دير المدينة، مثل قضايا تأخر المستحقات والمناوشات بين العمال، بالإضافة إلى وجود نقطة شرطة خاصة بالمنطقة تطبق قانون المحكمة. ومن بين القضايا التي عُرفت قضية حررت ضد ابن أحد مشرفي العمال والذي اتهم بسرقة المقابر والزنا والتسبب في انفلات مجتمعي؛ ولكن للأسف لم نعرف نتيجة المحاكمة.

ومن أشهر ما تعلق بمنطقة دير المدينة نشوب أول ثورة عمالية قامت في التاريخ والتي حدثت في عهد الملك رمسيس الثالث حين قام العمال بأول إضراب عمالي ذكرته بردية الإضراب المحفوظة بمتحف تورين وذلك بسبب تأخر مستحقاتهم نتيجة إفلاس خزينة الدولة بسبب حروب خاضها الملك رمسيس الثالث لحماية مصر من هجمات شعوب البحر[35] ، إلى جانب سيطرة الكهنة

35) هم مجموعة من الشعوب القديمة التي هاجرت عن طريق البحر المتوسط وهاجمت الممالك الواقعة شرقي حوض المتوسط، وكذلك مصر في فترة حكم الأسرتين التاسعة عشر والعشرين، والحيثيون في الأناضول.

على ثروات البلاد، الأمر الذي أدى إلى عجز الحكومة عن الوفاء بالتزاماتها تجاه العمال وتأخر استلامهم مخصصاتهم العينية من أكل وشرب وعلاج أكثر من مرة، ونظم العمال إضرابهم في العام 29 من حكم الملك رمسيس الثالث، وساروا في مسيرات وهم يرددون "إنا جائعون" واستمر ثلاثة أيام، وتجمع العمال عند معبد الرمسيوم وانضم إليهم الزوجات والأطفال، ودارت مفاوضات بين العمال ورجال الشرطة، مما دل على زيادة الوعي العمالي في مصر القديمة وانتفاء صفة السخرة في المشاريع الكبرى بالدولة. ومن يزور منطقة وادي الملوك حالياً ويرى ما فيها من إبداع فني منقطع النظير واحترافية معمارية لا تتكرر، يدرك أن هذا الإعجاز قد تم على يد عمال محترفين لاقوا حياة اجتماعية كريمة بعيدة كل البعض عن حياة العبودية والسخرة[36] .

عروس النيل والتضحية بالفتيات:

عرف المصريون القدماء قيمة النيل وقدسوه لما كان يجيء به من فيضان سنوي له دوره في النماء والزراعة والاستقرار، واعتباره شريانا مائيا يربط شمال البلاد بجنوبها من ناحية الاقتصاد والحركة الملاحية، فصنعوا له معبوداً أطلقوا عليه اسم "حعبي"، ويقيمون له الاحتفالات ويقدمون له القرابين ويكتبون له الأغاني والأشعار ويحرمون أي عمل يضر بالنيل، كما ذكر في "الاعترافات المنفية" أو صيغة إنكار الذنوب بالفصل 125 من كتاب الخروج فى النهار (كتاب الموتى) " أنا لم ألوث ماء النيل".

وكعادة المؤرخين الكلاسيكيين والعرب خرجوا إلينا بقصص وأساطير لا تمت للمصريين القدماء بصلة، حيث ادعوا أنه خلال الاحتفال بوفاء النيل كل عام

36) إريك هورنونج، وادي الملوك أفق الأبدية، ترجمة محمد العزب موسى، مكتبة مدبولي 2002، ص 77-78.

كان يتم تقديم فتاة جميلة يتم اختيارها وتزيينها وإرضاء أهلها بالمال ومن ثم إلقاؤها في النيل وذلك لضمان وفاءه بالفيضان وإرضاءه. وخرجت الأسطورة تقول أنه حكم مصر حاكم عادل محب للخير وفي إحدى السنوات حل بالبلاد الضنك والقحط فطلب من كبير الكهنة المشورة فأخبره بأن النيل غاضب لأنه يريد الزواج بفتاة بكر جميلة، فأمر الملك بإعلان الأمر في أنحاء البلاد بأن أي فتاة تريد الزواج من رب النيل وليكون لها ذرية منه تتقدم لاختيار الأجمل من بينهم، فيقوم الكاهن باختيار الفتاة وتزيينها، ومع انتهاء مراسم الاحتفال تقوم الفتاة بإلقاء نفسها في النيل طواعية، وفي إحدى السنوات لم يجد الكهنة أي فتاة جميلة في البلاد فقاموا بصنع عروس خشبية وإلقاءها في النيل حتى لا يغضب. ولا يوجد لدينا أي مصدر نصي أو أثري مصري يشير إلى فكرة التضحية البشرية للنيل، في حين أن فكرة أسطورة عروس النيل جاءت لما كان يلقيه المصريون من تماثيل ذهبية وليس بشر على الإطلاق.

وضمن ما يتعلق بعروس النيل في التراث الاسلامي من خرافات ما قاله المؤرخ المصري عبد الرحمن ابن عبد الحكم في اعتقاد أهل مصر بأن فيضان النيل لا يأتي إلا إذا القيت فتاة حسناء فيه: لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص - حين دخل بؤونة من أشهر العجم - فقالوا : أيها الأمير ، لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها . قال: وما ذاك ؟ قالوا: إذا كانت اثنتي عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها ، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل . فقال لهم عمرو : إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله. قال : فأقاموا بؤونة وأبيب ومسرى والنيل لا يجري قليلا ولا كثيرا ، حتى هموا بالجلاء ، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب إليه : إنك قد أصبت بالذي فعلت ، وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي ، فألقها في النيل . فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها " من عبد الله عمر أمير

المؤمنين إلى نيل أهل مصر : أما بعد ، فإن كنت إنما تجري من قبلك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك ، وإن كنت إنما تجري بأمر الله الواحد القهار، وهو الذي يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك " قال : فألقى البطاقة في النيل ، فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة ، وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم "

وقصة ابن عبد الحكم عن عروس النيل قصة خرافية من نسج الخيال، لأن أهل مصر عندما دخلها عمرو بن العاص كانوا على عقيدة المسيحية، وهى تحرم تقديم القربان البشري، لذا فإنه من غير منطقي أن يقوم المصريون بإلقاء فتاة فى النهر وتقديمها كقربان حتى يفيض بعد مرور سبعة قرون على بداية انتشار المسيحية في مصر، وبعد مرور أكثر من مائة عام على إغلاق آخر معابد الديانة المصرية القديمة فى بلاد النوبة. وقد اعـ[illegible] عبد الحكم في تأريخه على ما تم تجميعه من حواديت تروى شـ[illegible] معاصرا لحوادث دخول العرب لمصر، فقد عاصر ابن عبد[illegible]ولونية وعاش ثلاث سنوات بعد تأسيسها. ومع ذالك ترجع أهمية ابن [illegible]الحكم إلى أنه صاحب أقدم كتاب عربي مؤلف فى مصر وهو "فتوح مصر وأخبارها" وهو أول ما ألف في التاريخ الإسلامي لمصر وتحدث فيه عن تاريخ مصر قبل الفتح، ثم عن فتح مصر وأخبارها.

خرافات أخرى شائعة



هل عبد المصريون الحيوانات؟

عانت الحضارة المصرية القديمة من التشويه، وخاصة فيما يخص العقائد وذلك لأنها قورنت بالعديد من الحضارات المعاصرة واللاحقة لها وخاصة الحضارة الإغريقية، والتي ادعت على المصريين القدماء بأنهم عبدوا الحيوانات وصنعوا لها تماثيلاً يتقربون إليها، بل أن بعض المؤرخين الإغريق قد تناولوا ممارسات خاطئة تقرباً لتلك الحيوانات مثلما أقره هيرودوت خطأً وزوراً حين قال أنه رأى بعينه امرأة من مصر تزني مع كبش كما كان يتم جلب نسوة للعجل أبيس تقرباً لتلك المعبودات. ويبدو أن هذا الخلط قد حدث نتيجة توافد الإغريق إلى مصر مع اقتراب نهاية الحضارة المصرية القديمة، وعدم فهمهم لعقائدها وبعدهم عن طبيعة شعبها.

ولكن في الحقيقة، يجب أن نفرق بين العبادة والتقديس، حيث كان المصري القديم يعمل على تقديس قوى الطبيعة سواء بغرض إرضائها وجلب خيرها أو دره شرها، وتناول العديد من الرموز سواء البشرية أو الحيوانية أو النباتية أو خليط منهما في تمثيل معبود مركب ليكون رمزاً لقوى معينة، لكنه لم يعبد الحيوان كعنصر في الطبيعة بدليل أنه استأنس الحيوان واستخدمه لخدمته في الحياة الزراعية، ونرى العديد من المناظر المنقوشة على جدران المقابر تمثل قيام الفلاح المصري القديم باستخدام عدة حيوانات رعوية مثل البقر والجاموس والماعز

والطيور الداجنة بل وظهور رحلات صيد ضد الحيوانات الضارية، في حين أنه وضع تقديسه لقوى معينة لتمثل حيوانا ما، مثلما قدس القط وجعله رمزاً للربة باستت والبقرة رمزاً للأمومة للربة حتحور وذكر فرس النهر رمزاً للشر للمعبود أبوفيس، حتى الجعران جعله رمزاً للبعث والتجدد تجسيداً للرب "خبر".

المصريون لم يكونوا عمالقة:

كثيراً ما يعتقد العامة وبعض العلماء أن المصريون القدماء كانوا سلالة من العمالقة وخلطوا بينهم وبين عماليق كنعان وقوم عاد، وما أكد لديهم هذا الاعتقاد هو ضخامة المعمار المصري من معابد وأهرامات ومسلات، وهو ما يصعب على الشخص العادي ذي القدرات الجسدية الطبيعية القيام ببنائه، كما اعتمدوا في آرائهم على التماثيل الضخمة والمناظر التي تمثل الأفراد بأحجام غير طبيعية.

ولكن الحقيقة هي أنه مع قياس أطوال المومياوات الموجودة بالمتاحف المختلفة لملوك مصر وملكاتها سنرى أن الطول الطبيعي يتراوح ما بين 175-170 سم. وحتى مع اختلاف أطوال المومياوات حالياً بسبب عوامل الزمن وتآكل العظام، يمكن لنا أن نتفحص أحجام التوابيت الموجودة بالمتاحف لنجد أنها تتراوح ما بين 190-180 سم حيث أن فارق الـ10 سم يترك بين التابوت والمومياء كي تسهل عملية نقلها وسُمك لفائف المومياء التي تحتوي على التمائم المختلفة، وهو ما يثبت أن المصريون القدماء كانوا ذوي أطوال طبيعية وليسوا عماليق.

أما بخصوص التماثيل الضخمة والمناظر التي تظهر الأفراد بحجم كبير، فكان الفنان المصري القديم يرغب دائماً في إظهار ملوكه بأحجام غير عادية من الناحية الفنية باعتبارهم أنصاف معبودات وفوق مستوى البشر العاديين، كما كان يظهر صاحب المقبرة إن كان وزيراً أو قائد جيش أو أحد كبار رجال الدولة بحجم أكبر

مما حوله كنوع من فرض السيادة وإظهار الأهمية وليس بسبب كبر حجم الجسم من الناحية البيولوجية، مثلما يظهر في مناظر مقابر كل من الوزراء "كاجمني" و"مريروكا" بسقارة من الدولة القديمة، ومقبرة حاكم الإقليم "سارنبوت" الثاني بأسوان من الدولة الوسطى، ومقابر كل من "أوسرحات" و"رخميرع" بالأقصر وهم من كبار رجال الدولة الحديثة.

سحر كليوباترا:

كليوباترا السابعة، آخر ملكات مصر البطلمية عرفت بأنها واحدة من أهم ملكات مصر والعالم القديم بل وكانت أهم شخصية في عصرها لما امتلكته من أنوثة أسرت بها أهم رجلين في العالم آنذاك: يوليوس قيصر وماركوس أنطونيوس، ودهاء سياسي كادت به أن تسقط مجد روما من السيطرة على العالم. وقد ترسخت الفكرة الشائعة عن كليوباترا عبر العصور بأنها ذات جمال صارخ حيث ذكر المؤرخ البيزنطي أتيوس في القرن السادس الميلادي أن لها مؤلفات عن أسرارها للجمال وعلاج أمراض الشعر ووصفات لعطور ومرطبات الجسد من أجل الحفاظ على جمالها بشكل دائم، كما كان المؤرخ الروماني "كاسيوس ديو" يرى أنها أجمل نساء العالم، فقد كان في النظر والاستماع إليها وهج وبريق..".

وعلى النقيض، فقد دس أعدائها فى جميع البلدان تصويرها كساحرة، كما دفع اعداء قيصر وانطونيو من شعراء داخل روما وخارجها تصويرها كعاهرة تجذب الرجال من أجل السلطة، فكان يرى المؤرخ الروماني بلوتارخ أنها أزيد قليلًا من المتوسط الجيد. وانما الحقيقة أن الرومان كادوا ان يفقدوا مكانتهم فى العالم بسبب تلك المرأة التى كانت زوجة سابقة لقيصر ولها منه وريث شرعى وزوجة لأنطونيوس ولها منه أيضا أبناء كان لهم الحق في حكم روما والتحكم بغذاءها

وجيشها، وكادت مصر أن تحكم تلك الامبراطورية العظمى بدلاً من حكم روما لمصر والعالم.

واستمرت فكرة تخليد جمال كليوباترا وسحرها خلال العصور الوسطى بداية من شكسبير في القرن الخامس عشر في مسرحيته أنطونيو وكليوباترا وروايات الخيال العلمي بالقرن التاسع عشر وحتى العصر الحديث حين اختار المخرج جوزيف مانكيفيتس مخرج فيلم كليوباترا من إنتاج عام 1963، الممثلة الأمريكية اليزابيث تايلور لتجسد هذا الدور لما تتمتع به من جمال، بالإضافة لما ظهر في الأدب العربي متمثلاً في مسرحية مصرع كليوباترا لأمير الشعراء أحمد شوقي.

وقد ظهرت كليوباترا ممثلة بأنماط مختلفة حيث ظهرت مصورة بالنمط المصري وهو ما ظهر في تماثيل وجدران معبدها بدندرة، طويلة، نحيلة، ترتدي الشعر المستعار ورداءا من أفضل أنواع الكتان ويعتلي رأسها الريشتين وقرص شمس وقرني البقرة حتحور ورأس الأفعى الذي تُزين به أي ملكة من مصر القديمة، في حين تظهر في التماثيل والتصاوير الكلاسيكية بشكل مثالي حيث الملامح الهادئة والبشرة الخمرية والوجه المستدير والأنف الطويل والعينان الكبيرتان والشعر المجعد المربوط للخلف لينتهي بكحكة بينما يزين رأسها الإكليل المذهب. ومع ذلك، فإن النقود البطلمية تظهر كليوباترا بجمال محدود حيث لديها أنف كبير، ذقن بارزة وشفاه رفيعة، وهذه ليست من ملامح الجمال في عصرها على الإطلاق. ولكن من ناحية أخرى، تمتعت كليوباترا بشخصية كاريزمية ساحرة تتمتع بذكاء عالٍ وحضور كبير وصوت خلاب عوضها عن امتلاكها للجمال الجسدي، حتى ذكر بلوتارخ، والذي لم يكن معجباً بمظهر الملكة، أنه كان مندهشاً بقدراتها اللغوية وصوتها والذي استطاعت به، كأي أداة موسيقية ذات أوتار، أن تنتقل من لغة لأخرى، حتى أنها لجأت لمترجم مرات قليلة أثناء حديثها مع الأمم البربرية.."

وهو ما أكده بلليني في قوله بأنها حين تتكلم تصبح كالقيثارة عديدة الأوتار.. فهي تتحدث سبع لغات وتنتقل بتمكن من واحدة إلى الأخرى، وهي الفرعونية والحبشية والفارسية واليونانية والرومانية والسورية والعبرانية..".

ومن المعروف خطأ أن كليوباترا كانت مقدونية الثقافة والفكر، فرغم أن أسلافها البطالمة كانوا مصريين في الظاهر ومقدونيين في الباطن، إلا أنها وحدها التي كانت تتقن لغة المصريين وتعرف معبوداتهم، حيث كانت ترى نفسها من النسل المقدس للربة إيزيس، واعتبرت نفسها الوريثة لسحرها فتظهر في نقوشها في صورة مقاربة للربة المصرية، وهو ما جعل المصريين يحبونها رغم كرههم الشديد لأسلافها، حيث أعادت تجميل الإسكندرية بعد الحرب وفتحت جميع المعابد المصرية القديمة وشجعت العلماء ولم تخاطب الشعب إلا بلغته التي جهلها أجدادها.

وكثر الحديث عن موت الملكة حتى أشيع أنها قد انتحرت بسبب عضة حية الكوبرا بعد أن أحضرت لها في سلة، وهي الخرافة التي روجت لها المصادر الأدبية والأعمال الفنية خلال العصور الوسطى والحديثة، لكن هذا الأمر غير مؤكد تاريخياً، حيث أن الطبيب الخاص بالملكة والمدعو أوليمبوس لم يذكر هذا الأمر، في حين ذكر بلوتارخ أن سبب الوفاة كان نتيجة جرح سطحي سببه خدش دبوس للجلد ومنه تم دس السم، أما سترابون فقد قال أن سبب الوفاة يتأرجح ما بين عضة الثعبان أو نتيجة التسمم جراء مركب مساحيق سامة أعد للملكة كي تشربه. وقد ألمح كاسيوس دو إلى وجود ثقب صغير في ذراع كليوباترا مما يعزى لأن يكون عضة الثعبان لكنه لم يصرح بهذا معتمداً على آراء بلوتارخ، ورأى أنها وخزة إبرة أو دبوس. ورغم تأكيد كل من المؤرخين الرومان فلوروس وفيلوس بتركولوس على فكرة الانتحار بالثعبان، إلا أن الطبيب الروماني جالينوس قد مال إلى فكرة جرح

كليوباترا لذراعها ودس السم فيه. أما في العصور الوسطى فلم تتناول المصادر التاريخية سبب وفاة كليوباترا بشكل مفصل، حيث لم يؤكد الكاتب الإنجليزي توماس براون عام 1646م على سبب الوفاة ورأى أن الأدلة الفنية التي تظهر كليوباترا وحولها الثعابين الصغيرة التي عضتها لم تكن مشابهة للثعابين الكبيرة الموجودة بمصر في الحقيقة، في حين أن عالم التشريح الإيطالي جيوفاني باتيستا مورجاني قد أيّد في فكرة انتحار الملكة بسم الثعبان وهو ما دعمه العالم الفرنسي جان جولين في عام 1777م. أما حديثاً فقد شكك أيضاً فرانسوا بيتر ريتيف أستاذ الطب بجامعة فري ستيت من جنوب أفريقيا في كون كليوباترا قد ماتت بعضة الكوبرا، وأشار إلى أن تناول السم هو الذي قضى على الملكة وخادماتها، كما ألمح إلى فكرة أن الانتحار قد تم بالإبرة المسممة وهو كان أسلوب الانتحار في تلك الفترة مثلما حدث لكل من السياسي الإغريقي ديموثينيس والقائد القرطاجني هنبعل.

ومن المعروف تاريخياً براعة الملكة كليوباترا وقدرتها الفائقة في تحضير ومزج السموم، حيث كانت تعتمد على الوصفات القديمة وتختبرها على عبيدها، وهو ما كان يقلق ماركوس أنطونيوس حينما كانت تدعوه إلى الطعام، فكان يجلب معه أحد الخدم ويدعى الفاحص ليتفحص الطعام كيلا يكون فيه شبهة سم، فيذكر لنا المؤرخ بلليني أنه في إحدى المرات دعت كليوباترا القائد الروماني لشرب كأس من الخمر وألقت فيه زهرة من إكليلها كاختبار لحبه لها، فرفع أنطونيوس الكأس ليشرب دون أن يطلب الفاحص لكن كليوباترا أخذت منه الكأس مسرعة وأمرت أحد المسجونين بتناول الكأس بدلاً منه فمات على الفور من جراء السم، حينها أخبرت انطونيوس بأنها لو أرادت أن تميته بالسم لفعلت رغم وجود الفاحص.

وهناك رأي آخر يشير إلى احتمالية قتل القائد الروماني أوكتافياس للملكة

كليوباترا أو إجبارها على تناول السم بعد انتصاره عليها في موقعة أكتيوم البحرية عام 30 ق.م واحتلاله لمصر، وهو الاحتمال الذي يروج له كل من جريجوري توسكالاس المحاضر بكلية الطب بجامعة ديموكريتوس باليونان وماركوس سجانتوس محاضر التشريح بجامعة تيسالي باليونان، حيث أراد أوكتافيان التخلص من الملكة دون أن تحصل على أي قدر من التعاطف خاصة مع انتشار شهرتها في العالم القديم.

ويبدو أن عدم العثور على مقبرتها أو جثتها حتى الآن يزيد من انتشار الخرافات حول طريقة موتها دون تأكيد الأمر. فقد عثر زاهي حواس والأثرية كاثلين مارتينيز من جمهورية الدومينيكان في 2009 على مجموعة من المومياوات في مقبرة بمحيط معبد أوزير بمنطقة تابوزيرس ماجنا (أبي صير) على بعد 48 كم غربي الإسكندرية، بالإضافة إلى العثور على عملات تحمل صورة كل من ماركوس انطونيوس وكليوباترا معاً وهو ما يعد بصيص نور قد يقودنا في المستقبل إلى معرفة مصير الملكة أو الوصول إلى جثتها.

مصر القديمة والفضاء:

أبهرت الحضارة المصرية القديمة العالم القديم والحديث، حتى اعتقد البعض حالياً أن بناة تلك الحضارة يستحيل أن يكونوا بشراً مثلنا، ولكنهم فضائيون قادمون من كواكب أخرى أكثر تحضراً تركوا لنا آثار تلك الحضارة ورحلوا، كما ادعوا في فكرة بناء الأهرام، وربما استشهدوا ببعض الأشكال والمناظر على جدران المعابد وادعوا أنها كانت لكائنات فضائية، فعلى سبيل المثال نجد في مقبرة أمنحتب الثالث بالأقصر منظراً في منتهى الغرابة والغموض لشكل شبهه معتقدوا نظرية الكائنات الفضائية بأنه طبق طائر، وفي حقيقة الأمر هذا الشكل ما هو إلا كرة

برق وهي ظاهرة فيزيائية نادرة الحدوث يظهر فيها البرق على شكل كرة مضيئة تكون قريبة من سطح الأرض، وبعض الكهنة آنذاك حينما رأوها اعتبروها لعنة المعبودات وسجلوها على البرديات.

ومع إصرار البعض على تشويه حضارة مصر القديمة وأن كائنات فضائية هي التي قامت ببناء تلك الحضارة العظيمة، ظهرت بعض الأخبار تدعي أنه تم اكتشاف مومياء محنطة لكائن فضائي غريبة الشكل والملامح موجودة بمقبرة الملك توت عنخ آمون، ولكن تلك المومياء، ما هي إلا جنين لأحد أبنائه الذين ماتوا قبل أن يولدوا ولم يكتمل نموهم أثناء فترة الحمل، وتمت عملية إجهاض لزوجته، فظهر الطفل بمنظر مشوه أشبه بكائن فضائي، ولأن الطفل من العائلة الملكية فقد تمت العناية به وتم تحنيطه ووضعه داخل تابوت صغير له. أما في سرداب معبد دندرة فتخرج لنا خرافة أخرى، حيث نجد منظراً غريباً اعتقد البعض أنه لمصباح كهربائي ضخم بيضاوي الشكل ويزعم أن المصريين القدماء توصلوا لاختراع الكهرباء والمصابيح الكهربائية، وبالتركيز في النقوش والرسومات نجد أن الشكل البيضاوي ماهو إلا زهرة لوتس مغلقة، وبداخلها ثعبان، ويحمل الزهرة والثعبان عمود اسمه عمود "الجد" وهو رمز الثبات والاستقرار، وتفسير المنظر هو ميلاد أحد المعبودات من داخل الزهرة، هذا طبقًا لمعتقدات المصري القديم.

ومن الأمور التي اعتمد عليها البعض في الاعتقاد باتصال المصريين القدماء بالفضاء هو الخنجر الخاص بالملك توت عنخ آمون والذي عثر عليه كارتر ضمن لفائف المومياء ناحية فخذه الأيمن بعد اكتشاف المقبرة بثلاث سنوات، حيث ينفرد هذا الخنجر من بين مجموعة من خناجر الملك بأنه مصنوع من الحديد، تلك المادة التي كانت نادرة الاستخدام خلال مصر القديمة كما كان من الصعب تشكيلها. وقد اكتشف العلماء مؤخراً أن هذا النوع من الحديد يعرف بأنه حديد نيزكي، والمثير في

الأمر أن هذا النوع من الحديد يحمل في تركيبته الكوبالت والنيكل بنحو 11% في حين أن أقصى نسبة ممكن أن يحملها الحديد في الأرض هي أقل من 1%، وهو ما يعتبره العلماء بأنه قادم من نيزك فضائي، خاصة مع تفسير عبارة جاءت من الأسرة 19 تصف الحجر بأنه "قادم من السماء"، مما جعل العلماء يظنون في وجود اتصال بين مصر القديمة وعالم الفضاء، ولكن مع زيادة عمليات الفحص قام بها علماء مصريون من جامعة الفيوم بالاشتراك مع علماء إيطاليين من جامعات بيزا وميلانو في أعوام -2013 2016 باستخدام المسح الضوئي بالأشعة السينية، اتجهوا إلى أن هذا النوع من الأحجار جاء نتيجة سقوط نيزك على الأرض منذ آلاف السنين عرف المصريون القدماء قيمته ونجحوا في تشكيله خلال العصر البرونزي أي قبل العصر الحديدي واستخدام المعادن، خاصة مع مقارنته بنوع حجر عثروا عليه بمنطقة مرسى مطروح يحمل نفس السمات.

والحقيقة أن المصريين القدماء كانوا على علم بعلوم الفلك والأجرام السماوية والتقويم وحركة النجوم الثابتة والمتحركة عن طريق كهنة متخصصين يعرفون باسم الرائين أو المتطلعين إلى السماء، ولعل نقوش سقف معبد دندرة ومعبد إسنا خير دليل على براعة المصريين القدماء في علوم الفلك.

أهرام على سطح المريخ:

يبدو أن الهوس بربط مصر القديمة والأهرام بالفضاء لم ينته بعد، حيث التقطت أدوات التصوير الخاصة بمركبة الفضاء "فايكنج 1" عام 1976 صوراً لمجموعة تلال فوق سطح المريخ في المنطقة التي تعرف باسم "كايدونيا" شمالي الكوكب ادعى البعض أنها أهرام أشبه بأهرام مصر، حيث يؤكد أصحاب هذا الادعاء ومنهم السويسري إيريك فون دانكان والدكتور سيد كريم بأن من أنشأ تلك الأهرام

كائنات متطورة عاشت منذ آلاف السنين وجاءت إلى مثل تلك الكواكب وأنشأت فيها حضارات متقدمة، وهي التي جاءت إلى الأرض وأنشأت بدورها الأهرام المصرية وعلمت المصريين الحكمة وعلوم المعرفة. وقد استغل دانكان ذلك الولع بعلوم الفضاء والاكتشافات الفضائية التي حدثت خلال فترة الستينيات وما بعدها ونجح في الترويج لتلك الخرافة بشكل مخيف، حتى أن مبيعات كتبه قد وصلت إلى ملايين النسخ.

أما في عام 2014، زعم الفيزيائي الأمريكي جون براندنبورج أنه وجد أدلة على وجود آثار لحضارة قديمة كانت تعيش على كوكب المريخ قد تم القضاء عليها نتيجة لهجوم نووي شنه سباق أجنبي آخر، وأنه لا يزال من الممكن تتبع أدلة المذبحة على سطح الكوكب. وقد تكرر هذا الادعاء حينما اكتشف باحثو وكالة الناسا الفضائية الأمريكية مجسما على سطح كوكب المريخ في عام 2015، رأوا أنه هرم مشابه للأهرام المصرية. ويربط أصحاب تلك الخرافة بينها وبين تفوق المصريين القدماء في علوم الفلك والهندسة والتي مكنتهم من الاتصال بتلك الكواكب ومعرفة الخرائط الفلكية التي حددت مواعيد اقترابها من الأرض. ويزعم أحد الهواة المهتمين بعالم الفضاء ويدعى جو وايت بأنه قد وجد ضمن صور رحلات الناسا كتلة حجرية في منطقة مقاربة لأهرام المريخ تشبه أبو الهول، وهو ما يؤكد على أن تلك المنطقة كانت على نسق هضبة أهرام الجيزة!

ويأتي السؤال: كيف استطاع المصريون القدماء الصعود إلى تلك الكواكب وبناء أهرام على سطحها؟ ولا يجد أصحاب تلك الخرافة صعوبة في إيجاد الإجابة، حيث اعتقدوا أن المصريين القدماء قد وصلوا إلى الفضاء عن طريق طائرات وسفن فضاء، متحججين بوجود أنموذج لطائرة خشبية في حجرة الطيور بالمتحف المصري والتي قادت البعض لتأكيد هذا الاعتقاد، ولكن هذا النموذج الخشبي يحتمل أن يكون مجرد محاكاة للطيور وليس لطائرات.

وتأتي حجتهم الثانية في معبد أبيدوس في محافظة سوهاج والذي بناه الملك سيتي الأول وأكمله من بعده ابنه رمسيس الثاني، حيث صُوِّر على الإفريز فوق الأعمدة نقش غامض لدبابة ومجموعة من الطائرات ضمن نص بالهيروغليفي. ولكن مع دراسة النص بشكل علمي سنكتشف أنه عبارة عن نصين متداخلين كُتبوا في عصرين مختلفين، أحدهما من عصر سيتي الأول وهو عبارة عن نص ترجمته "ضارب الأقواس التسعة"، والثاني من عصر رمسيس التاني لمَّا أكمل المعبد بعد وفاة والده، وهذا بعد ما تم ملئ النص القديم بطبقة من الجص وسُجل عليه نص ترجمته "الذي يحمي مصر، وهازم البلاد الأجنبية"، ولكن حينما سقطت طبقة الجص ظهر النص متداخلا، وصنع الأشكال المزعوم بأنها طائرات ودبابات.

بينما تظهر الحجة الثالثة من خلال استخدام المصريين القدماء لما يعرف بمراكب الشمس والتي وجدت بجوار هرم الملك خوفو، ولكن تلك المراكب ما هي إلا مراكب جنائزية ضخمة صنعها الملك خوفو كي يقوم برحلته الرمزية بصحبة رب الشمس في العالم الآخر وتم الكشف عنها في حُفَرٍ مستقلة جنوبي الهرم على يد كمال الملاخ عام 1954م.

أما عن تلك الأشكال التي ادعي أنها أهرامات على سطح المريخ، فإنه بفحص وتحليل تلك الصور يتضح لنا أنها تكوينات حجرية ناشئة من عوامل التعرية والتأثيرات الجوية التي حدثت على سطح الكوكب الأحمر، خاصة ظهورها في منطقة "كاندور كازما" بكايدونيا وهي أحد أكبر الأخاديد في وادي "مارينز" ليجعلها عرضة للتآكل والنحر المستمر، وليس لها قاعدة مربعة ولا حتى مستطيلة كالتي يجب أن تتوافر في بناء الهرم، مثلها مثل تلال الواحات السوداء والبيضاء والتي نراها من بعيد على شكل هرم، بينما حين نقترب منها نكتشف أنها شكل جبل هرمي وليس هرماً حقيقياً. كما أن طبيعة كوكب المريخ لا تساعد على قيام

حضارة مشابهة في المفردات بالحضارة المصرية القديمة لظروفه المناخية والبيئية المختلفة عن الأرض، وإذا ما كان هناك أهرام على سطح المريخ، فلماذا لم نجد معابد ومقابر ونقوشاً هيروغليفية؟!

الهيروغليفية والعرب والقرآن الكريم:

الخطأ الشائع الذي يقع فيه الناس هو اعتقادهم بأن الهيروغليفية هي لغة المصريين القدماء، ولكن في الحقيقة أن الهيروغليفية هي أحد الخطوط التي كتبت بها اللغة المصرية القديمة، وهي تعني الكتابة المقدسة، بينما كتبت تلك اللغة بخطوط أخرى مثل الهيراطيقية، وهي الخط الكهنوتي التي كتب بها الكهنة وثائقهم السرية، ثم الخط الديموطيقي، وهو الخط الشعبي الذي استخدمه العامة في كتابة مراسلاتهم من عقود بيع وشراء وزواج وطلاق وتدريبات الطلبة في المدارس وغيرها.

كما يعتقد البعض خطأً أن أول محاولة لفك رموز اللغة المصرية القديمة جاءت على يد الفرنسي فرانسوا شامبليون عام 1822 حين نجح في فك رموز حجر رشيد معتمداً على دراسات كل من السويدي يوهان دافيد أكربلاد والإنجليزي توماس يونج.

ولكن في حقيقة الأمر سبقت محاولات شامبليون عدة محاولات ناجحة على يد بعض العلماء العرب في العصور الوسطى الذين مهدوا الطريق لشامبليون كي يتمم تلك الدراسات بالنجاح، حيث اولى العلماء العرب والمسلمون بالخط الهيروغليفي اهتماماً بالغاً وخاصة علماء الكيمياء منهم لاعتقادهم أن نقوش تلك اللغة تحمل في طياتها أسرار الكيمياء وتحويل المعادن العادية إلى أخرى نفيسة، فمن أهم العلماء العرب والمسلمين الذين انبروا لدراسة ومحاولة فك الرموز الهيروغليفية

كان عالم الكيمياء جابر بن حيان من القرن السابع، والذي شمل كتابيه "حل الرموز ومفاتيح الكنوز" و"الحاصل في علم الميزان" محاولات لقراءة بعض الرموز الهيروغليفية. وجاء من بعده العالم المصري "أيوب بن مسلمة" الذي جاء إلى مصر ضمن حملة صحب الخليفة المأمون خلال زيارته لمصر، وذُكر أنه تمكن من قراءة بعض النقوش المصرية القديمة. وهناك العالم والزاهد المصري "ذو النون المصري" الذي ولد بأخميم وعاش بين القرنين الثامن والتاسع وذكر أنه كان يجيد قراءة النصوص المنقوشة على جدران المعابد، وترك لنا كتاب "حل الرموز وبرء الأرقام في كشف أصول اللغات والأقلام" والذي تضمن دراسات للكثير من الخطوط القديمة منها الهيروغليفية ومعها ذكر لقيمتها الصوتية من وجهة نظره. ونعرف "ابن وحشية النبطي" من أهل العراق، والذي عاش بالقرن التاسع وألف كتاب "شمس الشموس وقمر الأقمار في كشف رموز الهرامسة وما لها من الخفايا والأسرار" ومخطوط "شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام" حيث اكتشف أن للرموز الهيروغليفية قيم صوتية وقام بتحليل العديد منها، وقام المستشرق النمساوي جوزيف همرفون بترجمة تلك المخطوطة للإنجليزية ونُشرت في لندن عام 1806 أي قبل 16 عاما من اكتشاف شامبليون. كما نعرف عالم الكيمياء العراقي "أبو القاسم العراقي المصري" الذي عاش بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر، والذي كتب "الأقاليم السبعة" حيث تضمن فقرات لبعض النصوص المصرية القديمة، كما تضمن جدولاً للحروف البرباوية (أي الهيروغلفية) جاءت قراءته لبعضها صحيحة، بالإضافة إلى إسهامات ابن الدريهم في كتابه "مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز"، وابن إسحاق الكندي في كتابه "رسالة الكندي في استخراج المعمي" في الكشف عن أسرار الخط الهيروغليفي وفك رموز اللغة المصرية القديمة [37].

37) عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة، ص 47-46.

ومن الخرافات التي طالت الهيروغلفية وطلت علينا في العصر الحديث، ما ادعاه الباحث سعد عبد المطلب في كتابه "الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم"، حيث ادعى نجاحه في تفسير الحروف المقطعة التي تبدأ بها بعض سور القرآن الكريم لأن تلك الحروف هي في الأساس كلمات من اللغة المصرية لما بها من تشابه كبير بين سمات تلك اللغة واللغة العربية، معتمداً على التشابه الصوتي بينها. كما ادعى خطأً أن بعض هذه الرموز التي تصدرت بها بعض السور القرآنية مثل: ق ، ص ، ن ، لها شكل مميز شبيه بصورة الأفعال في اللغة المصرية القديمة، وبالذات أنها لا تحمل نهايات في آخرها ولا تتغير مع تغير الفاعل أو المفعول به، فإن لها صورة واحدة هي صورة المفرد المذكر حتى وإن اختلف فاعلها من حيث التذكير والتأنيث والإفراد والتثنية أو الجمع. وعلى سبيل المثال يفسر (ألمر) في بداية سورة الرعد قائلاً إن النصف الثاني منها (مر) أنه من اللفظ (مرّ) بمعنى يحب ، وفي موضع آخر نجده يفسر حرف (م) وحده بأنه يعني بكاء ، وهذا ما لا يمكن أن يتفق معه أحد فيه. في تفسيره "طس" في بداية سورة النمل يورد الباحث وجهتي نظر حيث يسرد الأولى أن (طا) جاءت من (تا) ومعناها: أنت أيها الرجل، وهذا خطأ كبير لأنها في الحقيقة اسم إشارة للمؤنث فتقول (تاست) بمعنى: هذه المرأة ، فكيف يخاطب بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم؟! ثم يتحول لوجهة النظر الثانية ليقول إن (طس) جاءت من (تاسني): (تا) بمعنى أرض و(سني) بمعنى: يقبل ، ولو كان معناها في المصرية القديمة تقبيل الأرض لجاءت هكذا (سني تا) أي مضاف ومضاف إليه، ثم يربط هذه الأرض بمكة وإذا كان يقصد بهذه الأرض مكة فإن الأرض الحرام في المصرية القديمة معناها (تا إيبت) والتي حرفت إلى طيبة فما علاقة هذه بـ(طس)؟!

وزاد الباحث في خطأه حول اللغة المصرية القديمة بقوله أنها لغة لا تعرف أدوات التعريف أو النكرة في حين أن هذه الأدوات معروفة جيداً، كما قال إن

الفعل قد يأخذ شكلا واحدا في جميع الأزمنة واستعان بكلمات معظمها سامي الأصل دخلت اللغة المصرية متأخراً، وهذا أيضا خطأ فادح. وفي حقيقة الأمر اللغة المصرية القديمة غنية بالمفردات والمترادفات إلا أن هناك في الوقت نفسه كلمات تبدأ بعلامة واحدة ولكنها تختلف في "المخصّص" وهو العلامة التي تاتي في نهاية الكلمة لتحدد معناها (الفم في نهاية الكلمة يدل على الطعام والشراب والكلام والفم نفسه) وهذه العلامة لا تنطق مع الكلمة.

كما تطرق إلى أن اللغة المصرية القديمة والمعروفة الآن تحت مسمى "اللغة الهيروغليفية" كانت لغة عالمية، وكانت لسان العصر لكل من أراد أن يعبر أو يكتب أو يتكلم، ولكن الحقيقة هي أن اللغة البابلية أو الأكدية بخطها المسماري كانت هي لغة الدبلوماسية الدولية في كتابة المراسلات والمعاهدات خلال القرن الثالث عشر وحتى السادس قبل الميلاد وليست المصرية القديمة، والتي كان يعتبرها أهلها لغة الخاصة.

زواج الأخوات:

"إن حب أختي على ذاك الشاطئ، ويفصل بيني وبينها رقعة ماء، وتمساح على الشاطئ الرملي يربض، ولكني حينما أنزل في الماء أسير على الفيضان، وقلبي جسور على المياه؛ وإن حبها هو الذي يبعث فيّ تلك القوة. حقًّا إنه الحب يعمل لي رقية الماء ضد التمساح وإني حينما أنظر إلى أختي آتية ينشرح صدري وذراعاي تفتحان لتضماها وقلبي يبتهج..".

هذا الشعر الغزلي عُثر عليه مكتوبا على قطعة من الخزف محفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة، والذي ترجمه بعض العلماء على أنه زواج الأخ من أخته، ولكن هذا الأمر خطأ حيث أن زواج الأخوات كان مقصوراً على الملوك فقط وذلك من

أجل الحفاظ على العرش مثلما حدث مع أخناتون ومن بعده توت عنخ آمون وغيرهم أسوة بما فعله المعبود أوزير حين تزوج من أخته إيزيس، في حين أن هذا الأمر لم يكن متعارفاً عليه بين عامة الشعب، ولكن كان الزوج يغازل زوجته بأنها أخته كدلالة على الإعزاز ومدى القرب. وكان المؤرخ تيودور الصقلي قد ذكر لنا أن القانون المصري كان يبيح زواج الإخوة، ولكن يبدو أنه كان يشير إلى هذا الأمر خلال العصر البطلمي، ولم تسجل لدينا أية حالة لزواج الإخوة سوى حالة واحدة خلال الأسرة الثانية والعشرين، وهذا الزواج لم يكن لمصريين ولكن وقع بين الليبيين الذين استوطنوا مصر [38].

حتشبسوت رجلاً!؟

اعتلت حتشبسوت عرش مصر بعدما أعلنت الوصاية على ابن أخيها الصبي تحتمس الثالث ونصبت نفسها (ملكاً) على مصر، وكان هذا الأمر غير متعارف عليه في التقاليد الملكية المصرية القديمة، مما جعلها تظهر في العديد من التماثيل بهيئة الملوك الرجال مثل تماثيلها على هيئة أبي الهول بالمتحف المصري بالقاهرة أو المتروبوليتان بالولايات المتحدة، أو تماثيلها كملك يقدم القرابين للمعبودات في محاولة لإضفاء الشرعية على حكمها، وهو ما فتح الباب أمام بعض الباحثين في الاعتقاد بأن حتشبسوت قد أجرت عملية تحويل جنس. كما أشاع بعض آخر أنها كانت تستخدم قفازات لأنها كانت تملك أصابع مشوهة معوجة أو أصابع زائدة في اليد الواحدة.

ولكن مع اكتشاف مومياء الملكة حتشبسوت وتحليلها بالأشعة المقطعية وتحليل الحمض النووي الخاص بها، انتهت تلك الخرافة للأبد، حيث بدأت رحلة الكشف عن المومياء عام 1903 على يد هيوارد كارتر بالمقبرة KV60 بوادي الملوك

38) تحفة حندوسة، الزواج والطلاق في مصر القديمة، صـ 27.

حين تم وضعها مع مومياء أخرى بتلك المقبرة كخبيئة إبان الأسرة 21 لحمايتها، ثم قام العالم الإنجليزي إدوارد إيرتون بتنظيف المقبرة عام 1906، لكنه ترك المومياء في مكانها، ثم أعيد اكتشافها مرة أخرى على يد عالم الآثار الأمريكي دونالد رايان عام 1989، في حين قام زاهي حواس بدراسة المومياء في عام 2006 حينها تم التأكد من هوية الملكة المصرية والتي كانت تتمتع بصفات جسدية طبيعية ولم نجد أية تشوهات في أصابع الأيدي على الاطلاق، ولكنها عانت من سمنة مفرطة وأصيبت بمرض السكري أدى إلى تآكل في الأسنان ونخر في عظام العمود الفقري ووجود ورم خبيث بالفخذ الأيسر وماتت عن عمر 50 عاماً.

ومن المعتقد خطأ حول الملكة حتشبسوت أنها تعرضت للاغتيال من قبل ابن أخيها تحتمس الثالث بعد وصوله للعرش، ولكن مع تحليل مومياءها والكشف عن سبب موتها ينتفي أمامنا الرأي بأن حتشبسوت ماتت مقتولة، وهو ما يجعلنا نشكك في نظرية تدمير تحتمس الثالث لآثارها عمداً بعد توليه حكم مصر. فمن المحتمل أن يكون التدمير قد حدث مع نهاية عهده وبداية عهد ولده أمنحتب الثاني، وهو ما يؤكده العثور على مومياء الملكة في حالة جيدة دون تلف أو إيذاء. وتظهر أيضاً المقصورة الحمراء لحتشبسوت بمعبد الكرنك بحالة جيدة والتي تظهر فيها الملكة وهي تقوم بمجموعة من الطقوس خلال الاحتفال بالتتويج والمشاركة في تقديم القرابين للرب آمون بمناسبة عيد "الأوبت" وعيد "الوادي الجميل" وهما من أهم الأعياد الدينية في مصر القديمة. كما تظهر الملكة في العديد من مناظر تلك الاحتفالات بصحبة تحتمس الثالث، ويبدو أن إنشاء المقصورة قد بدأ خلال عهدها وانتهت خلال عهد خليفتها في الحكم، كما أن عمليات تشويه صورها وخراطيشها لم تكتمل أبداً، مما يدل على أن عمليات مسح الذكرى والتي تمت مع نهاية عهد تحتمس الثالث لم تكن دليلا على وجود دافع انتقامي.

أصل الحضارة المصرية القديمة..عراقي:

من الآراء الصادمة والمنتشرة بين العديد من علماء الغرب بأن أصل حضارة المصريين القدماء جاء من بلاد الرافدين، حيث أن حضارة سومر هي المؤسسة لمصر القديمة ضمن حضارة عالمية خلال الألف الرابع قبل الميلاد والتي امتدت من الهند وحتى كريت بما فيها مصر بينما كان مركزها سومر بالعراق القديم، كما أن الكتابة السومرية هي الأصل للكتابة الهيروغليفية المصرية.

فيزعم أصحاب هذا التيار الغريب ومنهم عالم الآثار فلندرز بتري والمكتشف والكيميائي الإنجليزي "لورانس وادل" وعالم الآثار "برايان إمري" في أوائل القرن العشرين أن أسرة سرجون الأكادي هي أصل الأسرتين الأولى والثانية في مصر، أي أن الملوك الثلاثة الآخرين لعصر ما قبل الأسرات هم من أصل رافدي، وهم جد سرجون الأكادي وأبوه وسرجون نفسه، كما يجعلون الملك المصري القديم مني أو مينا ولي عهد العرش السومري وحاكم مستعمرة السند السومرية، والذي تحول إلى أول حكام مصر المستقلة دون إبداء تحول مبرر لهذا الانقلاب، ويربطون لغوياً بشكل غير منطقي بين كل من الملك مينا المصري والملك مينوس الكريتي والمحارب مانس السومري. وتأتي تلك الفرضية من خلال أساليب الدفن غير المعروفة من قبل، وهندسة المقابر غير المعتادة في مصر، والتي تشير من وجهة نظرهم إلى حدوث غزو من قبل نخبة حاكمة جاءت من الشرق الأدنى كانت مسئولة عن التطور المفاجئ الذي بدأ للحضارة المصرية القديمة.

ويكشف لورانس وادل، هذا الرحالة غير المتخصص ميله العرقي في اعتبار أن الجنس الآري هو نفسه الجنس السومري الذي بدأ حضارة العالم وأسس لإمبراطورية مهولة شملت العالم القديم كله، ويزعم وحدة السمة العامة لشخوص المناظر المرسومة على آثار الحضارات الثلاث المصرية والسومرية والهندية، حيث

الرؤوس الطويلة والشعر المائل للأشقر والعيون الشهباء، كما يدعي أن السومريين أقوام هاجروا من شمال العراق إلى جنوبه، معترفين بأصولهم الجبلية.

ولكن هذا الرأي يتنافى مع ما ذكره السومريون أنفسهم عن أصلهم كما ورد في أحد الألواح الطينية السومرية أنهم تركوا موطنا في أرض جبلية يمكن الوصول إليها بحراً، حيث إن شمال العراق أرض جبلية ولكن لايفصلها عن جنوب العراق أي بحر. وبعد هجرتهم حلوا في الجنوب عند مصبي دجلة والفرات مؤسسين مدناً هي ممالك مستقلة أشهرها: أور، أوروك، أوما، وغيرها.

كما أنه من المعروف تاريخياً وأثرياً أن عصر بداية الأسرات في مصر قد جاء نتيجة تطورات سياسية وحضارية داخل مصر نفسها خلال ما تعرف بحضارتي نقادة الثانية والثالثة [39]، ثم بدأ مع توحيد إقليمي مصر الشمالي والجنوبي في دولة قوية واحدة، عام 3150 ق.م، على يد الملك مينا (أو نعرمر) القادم من جنوب مصر والذي أسس عاصمة دولته في مدينة ثني بالقرب من أبيدوس ثم اتجه لبناء عاصمة أخرى للمملكة الموحدة عرفت باسم منف، وهي المدينة المركزية التي وحدت شطري البلاد خلال الدولة القديمة، بينما بدأت حضارة سومر في الظهور على وجه العالم خلال عام 3200 ق.م أي وجود فارق زمني بين الحضارتين والذي يصل إلى نحو 500 سنة، في حين أن وادل قد وضع تاريخاً وهمياً يجعل الأسرة المصرية الأولى لا تبدأ مع مطلع الألف الثالث أو قبله كما هو متعارف عليه وإنما تحديداً مع سنة 2704 ق.م، دون أي سند تاريخي أو أثري.

وهذا الأمر لا ينفي وجود علاقات بين مصر وبلاد النهرين خلال فترة ما قبل الأسرات إبّان حضارتي نقادة الثانية والثالثة بمصر والمعاصرة لحضارة أورك بالعراق القديم، تضمنت تبادل في التأثيرات الفنية والعقائدية. فقد عثر في مصر على

---

39) مدينة بمحافظة قنا حالياً وكانت مركزاً للتطور الحضاري قبل الأسرات.

أوان وصناديق فخارية ذات طابع رافدي مما يشير إلى وجود حركة تجارية بين الحضارتين، بالإضافة إلى اكتشاف مجموعة من الأختام الاسطوانية وألواح الزينة ومستحضرات التجميل بمقابر نقادة الثانية بمصر وخاصة بمنطقة هيراكنبوليس[40] قادمة من بلاد النهرين، كما يظهر على سكين جبل العركي[41] مشهداً ذا تأثير عراقي مثل رجل يفصل بين حيوانين مثلما جاء في ملحمة جلجاميش، وفكرة الحيوانات المركبة، ذات الأصول العراقية منقوشة على صلاية نعرمر نفسه[42]. بينما يظهر التأثير المصري على الآثار الرافدية في مناظر ضرب الملك لأعدائه بسلاح المقمعة بينما تحلق الطيور لاقتناص جثث الأعداء كما يظهر في آثار الملكين إياناتوم السومري وسرجون الأكّادي وهي المأخوذة من مناظر صلاية نعرمر، وهو ما يعتبر تأثير وتأثر ناتج عن علاقات تجارية بحرية وليس احتلال وسيطرة كما يزعم أصحاب هذا التيار المضلل.

ومع مناقشة أصول الكتابة المصرية القديمة، يزعم وادل أن الكتابة التي استخدمها مِنِس (الفرعون الأوّل) وأسرته وأسلافه السومريون لنصوصهم في مصر هي كتابة سومرية، حيث كانت بلاد النهرين منذ القدم تعرف نوعي الكتابة: التصويرية والخطية بينما عرفت مصر الكتابة التصويرية فقط. ويزيد وادل في أفكاره الضالة بأنه من المحتمل أن الكتابة السومريّة المبكرة قد أطلق عليها مصطلح (الهيروغليفية) وذلك لاستخدامها شكلها التصويري الخطي في أختام الكهنة والملوك وعلى التمائم والتعاويذ.

ورغم أننا نجد قلة في الأدلة الأثرية التي يمكن أن تشير إلى أصول الكتابة المصرية إلّا أننا لا نضع قاعدة ثابتة وقاطعة حول الأصل السومري لها كما يزعم

40) مدينة نخن المصرية القديمة وعاصمة الجنوب قبل التوحيد، وتعرف حالياً بالكوم الأحمر بين مدينتي إسنا وإدفو.

41) قطعة أثرية من العاج عثر عليها في أبيدوس ومحفوظة حالياً بمتحف اللوفر.

42) من أشهر آثار الملك نعرمر حيث عثر عليها بمدينة نخن ومعروضة بالمتحف المصري بالقاهرة.

وادل. ففي عام 1993 اكتشف جونتر دراير خلال رئاسته للبعثة الألمانية كتابات بالحبر الأسود على أوان فخارية في منطقة أم الجعاب بالعرابة المدفونة بمحافظة سوهاج، وهي المنطقة التي يوجد بها مقابر ملوك الأسرة الأولى وآخر ملكين من الأسرة الثانية ترجع لعام 3200-3400 ق.م وهو ما يجعلها معاصرة للألواح الطينية الخاصة بحضارة أورك ببلاد النهرين ويشكك في أسبقية الكتابة السومرية للكتابة المصرية القديمة.

الأمازيغ يحكمون مصر:

يدعي بعض المنتمين للأمازيغ من علماءٍ وعامةٍ أن أحد ملوك الأمازيغ قد نجح في احتلال مصر وإخضاعها، حيث أنه منذ 950 سنة قبل الميلاد، نشبت معركة بين القائد الأمازيغي شيشنق وجيش الفراعنة، انتصر فيها الأمازيغ، الذين لجأوا إلى إطلاق الأسود المُروّضة على خصومهم، في جبل فرعون، بقرية بني عشير، المتربعة فوق سلسلة بجبال تلمسان بغرب الجزائر. فقد أراد الفراعنة ضم شمال أفريقيا والاستحواذ على طرق التجارة وثروات المنطقة، وأغاروا على أمازيغ بني سنوس، لكن الإنذار الحربي مكّن شيشناق من الاستعداد جيّدا للمعركة التي استعمل فيها الأسود المروّضة، فنجح في دحر الغزاة، وأعد شيشنق الجنود ودخل في حرب ضد الفرعون الطاغي فربح الحرب وحكم مصر بسهولة تامة، واستطاع شيشنق أن يتولى الحكم في مصر.

ولكن الحقيقة أن الملك شيشانق هو ملك مصري أصيل نشأ في مدينة إهناسيا (بني سويف حالياً) جاء جده الخامس من إحدى واحات الصحراء الليبية والتي كانت تحت الحكم المصري واندمج مع المجتمع المصري، ونجح حفيده شيشانق في الوصول إلى عرش مصر مستغلاً حالة الضعف التي سادت في البلاد وأسس الأسرة

الثانية والعشرين، وهو ما جعل البعض يسمونها بالأسرة الليبية، ومع ذلك تأثر شيشانق بالعادات المصرية، حيث أقام بوابة شهيرة بمعابد الكرنك سجل عليها انتصاره على ممكلة إسرائيل، بينما قام بتعيين أبناء أسرته كهنة لآمون بالكرنك مما يؤكد تمسكه بعقيدة آمون المصرية دون وجود أي ذكر لتأثير أمازيغي ضمن آثاره.

الشذوذ في مصر القديمة:

من النظريات الخاطئة التي يروج لها العديد من العلماء هي أن المصري القديم كان يبيح الشذوذ في العلاقات مثلما كان مباحاً لدى الإغريق والرومان، وقد ساقوا تلك النظرية معتمدين على عدة شواهد منها مقبرة كل من "ني عنخ خنوم" و"خنوم حتب" بسقارة والمعروفة باسم مقبرة الأخوين، واللذان كانا يعملان مشرفين على تجميل أظافر الملك ني وسر رع من الأسرة الخامسة، ومن المحتمل جداً أنهما كانا شقيقين، أو ربما توأم؛ حيث صورا على جدران المقبرة بنفس الملامح في حالة احتضان إلى حد الالتصاق وتقارب الأنف بالأنف، مما جعل البعض يرجع وجود علاقة شذوذ بينهما. ولكن هذا التقارب لا يعني حدوث علاقة جنسية بينهما، ولكن لكونهما أخوين توأم فإنهما في حالة توافق شديد حتى أنهما يودان أن يبعثا في الآخرة سوياً ويدفنا في مقبرة واحدة.

وكان المصرى القديم يجرم الشذوذ الجنسي كما كان يجرم الزنا، وهو من المؤكدات التى تثبتها النصوص الدينية المصرية، حيث يذكر كتاب الموتى فى الاعترافات المنفية أن المتوفى لكي يخلد بالعالم الآخر لابد أن ينفي عن نفسه تهمة ارتكاب الفاحشة مع النساء أو حتى الرجال، أي أنه لن يخلد إذا فعل هذين الذنبين، فكيف للأخوين أن يواجها معبودات العالم الآخر وهما مقترفان ذنبا مرسوما على جدران المقبرة أو البيت الأبدي؟!

ومن الأدلة التي اعتمد عليها مروجو تلك النظرية ما وجد على بردية "شاسيناه" بمتحف اللوفر والتي استخدمت كدليل على شذوذ الملك ببي الثاني آخر ملوك الأسرة السادسة، حيث تنص البردية على قيام أحد المواطنين بعرض مرثية على الملك نفر كارع (أحد أسماء الملك ببي الثاني) لكنه لم يكترث بها مما جعله يغضب ويبعث أحدا ليراقب الملك في تحركاته، فوجده يخرج من القصر ليلاً ويذهب إلى أحد قادة القصر يدعى سا سنت "ويفعل له كل ما يرغب"، حيث تم تفسير آخر جملة على أنها سلوك شاذ بين الملك وموظف القصر. ولكن مع تحليل البردية سنجد أنها كتبت خلال الدولة الحديثة أي بعد أكثر من ألف عام من حكم الملك ببي الثاني، مما يجعل محتواها بعيدا عن الدقة التاريخية، ويحتمل أن تكون مجرد قصة نقدية لسلوك تلك الفترة من انحلال وضعف بالمجتمع متمثلاً في شخص الملك، كما أن تكرار تلك القصة بالبردية يدل على الرغبة في نبذ هذا التصرف والتحذير من عواقبه.

أما الحجة الثالثة فجاءت خلال أسطورة الصراع بين حورس وست على عرش مصر، حيث ورد في إحدى فصول الأسطورة محاولة خداع ست لحورس والقيام معه بعلاقة شذوذ لكسر هيبته وإضعاف موقفه أمام محكمة معبودات هليوبوليس، ولكن حورس فطن لتلك الخدعة بتحذير من أمه أيزيس، وهو ما أرجعها بعض الباحثين إلى أنه أمر معتاد عليه بين معبودات مصر القديمة مما يجعله شائعاً في مجتمع البشر، ولكن يبدو أن هذا الجزء من الأسطورة تمت كتابته خلال العصر المتأخر مع توغل الإغريق وثقافتهم في مصر والتي تبيح الشذوذ بين المعبودات والبشر وهو الأمر الذي لم نجده من قبل خلال الفكر المصري القديم سواء بين المعبودات أو الملوك.

هل عرف المصريون القدماء الكوكايين؟

من خلال بحث غريب من نوعه، أعلنت عالمة السموم الألمانية سفتلانا بالبانوفا عام 1992 عن وجود بقايا لمواد الكوكايين والنيكوتين بين خصلات شعر مومياء الكاهنة والمغنية حنوت تاوي من الأسرة 21، والتي أصبحت معروفة باسم مومياء الكوكايين. فمع اكتشاف المومياء تم إهداءها لملك بافاريا لودفيج الأول وتم حفظها مع تابوتها في متحف الفن ببرلين. وكان الهدف من هذا الكشف العجيب هو التوصل إلى أن المصريين القدماء قد وصلوا إلى سواحل أمريكا الشمالية حيث موطن زراعة الكوكايين والتبغ وذلك قبل مغامرة كولومبوس بآلاف السنين، حيث أن تلك المواد تستخرج من نباتات لا تزرع سوى في بيئة أمريكا الشمالية حيث للكوكايين من نبات Erythroxylon والنيكوتين من نبات Nicotiana tabacum. ولم تكن بالبانوفا وحدها من تطرقت إلى تلك النظرية، ولكن اتفق معها أحد المغامرين ويدعى دومينيك جورليتس، حيث قام بعمل مركب ضخم مصنوع من القصب ونبات "الأويكالبتوس" وجذوع الأشجار، في محاولة منه لإثبات قيام المصريين القدماء برحلات تجارة واستكشاف لأمريكا الشمالية. ولكن لا يوجد لدينا ما يؤكد تلك النظرية، فلم نجد مناظر لرحلات مصرية اتجهت نحو الغرب كما أكد كينيث فيدر أستاذ علم الأنثروبولوجي بجامعة Central Connecticut State لأننا لم نملك أي دليل على قيامها، على عكس ما صوره المصري القديم لرحلات بحرية مثل رحلة بلاد بونت[43] في عصر الملكة حتشبسوت ومعارك بحرية ضد شعوب البحر في عهد الملك رمسيس الثالث. أما عن وجود بقايا مواد مخدرة بين أنسجة المومياوات المصرية القديمة، فلابد وأنه نتج عن خطأ في التحليل أو تعرض

43) هي بلاد تطل علي البحر الأحمر أو خليج عدن، جنوبي شرق مصر بعد السودان. وأغلب الظن أنها المنطقة الواقعة من بورسودان إلى شمال إريتريا على ساحل الصومال.

المومياوات لنوع من التحلل الكيميائي خلطها مع مواد غريبة، أو أن بالبانوفا كانت ضحية الاعتماد على مومياوات غير أصلية. فلم يثبت تاريخياً أن المصريين القدماء قد استخدموا مثل تلك المواد أو النباتات المخدرة كالكوكاين والحشيش والتبغ، رغم براعتهم في التوصل لأنواع مختلفة من الأعشاب ومواد العطارة مثلما ذكر في بردية ابريس الطبية وخاصة معرفتهم ببعض الأعشاب المخدرة التي استخدمت في العمليات الجراحية مثل زهور الخشخاش واللوتس الأزرق، كما أن عمليات التحليل التي تمت ضمن مشروع فحص مومياوات الأسرة الثامنة عشرة في عام 2006 لم يشر إلى وجود مثل تلك المواد على الإطلاق.

الفراعنة السود:

يزعم أصحاب هذا التيار أن المصريين القدماء كانوا من أصحاب البشرة السمراء وأنهم جاءوا من قلب أفريقيا، لما وُجد من تشابه بين أهرام مصر وأهرام السودان، بل إنه تم العثور على تماثيل لملوك بملامح زنجية، بالإضافة إلى دراسة ملامح بعض التماثيل وتحديدها بما عرف بالتأثير الزنجي، مثل تماثيل توت عنخ آمون وتمثال أبي الهول الكبير، وهو الادعاء الذي ساقه العديد من المؤرخين الإغريق أمثال سترابون وتيودور الصقلي وهيرودوت، حيث وصفوا المصريين بأنهم ذوي بشرة سمراء وشعر مجعد. أما الرحالة الفرنسي قسطنطين فولني فقد زار مصر 1787م وادعى أن المصريين كانوا ذوي وجه منتفخ وعينان واسعتان وأنف مفلطح وشفتان سميكتان، وعندما رأى أبي الهول اعتبره نموذج للوجه "الزنجي" وهو العرق الذي جاء منه المصريون، حيث كان يعكس نظرة الأوروبيين العنصرية للمصريين خلال القرن الثامن عشر باعتبارهم أفارقة. بينما يتبنى تلك الأفكار الخاطئة حالياً المؤرخ السنغالي الشيخ أنتا ديوب، حيث قام بنشر أبحاث في سبعينيات القرن العشرين

يصر فيها على أن العنصر الأساسي المكون لمصر القديمة هم الزنوج قبل اندماجه مع عناصر جديدة على مر الحضارة، واستخدم ديوب التحليل المجهري لقياس محتوى الميلانين لعينات الجلد من عدة مومياوات مصرية من حفائر ماريت والتي من خلالها قام بتصنيف جميع المصريين القدماء على أنهم "بلا شك بين الأجناس السوداء"، ويظهر اعتقاده دون أي سند علمي لكنه نابع من التعصب للبشرة السمراء ومحاولة مقاومة الفكر الأوروبي الأبيض، فيزعم أن المؤرخين والكتاب البيض قد اخترعوا مصطلحات سياسية مثل "المتوسطي" و" الشرق أوسطي" من أجل طمس الهوية الأفريقية للمصريين!

والحقيقة أن العنصر الأفريقي لم يحكم مصر سوى خلال الأسرة الخامسة والعشرين أي في 744 ق.م وانتهت في 656 ق.م، حيث زحفت مملكة كوش جنوبي الشلال الأول والنوبة العليا نحو النوبة السفلى ومنها إلى بقية مصر بعدما دب فيها الضعف، وكانت تلك الحضارة قد تأثرت بشدة بالحضارة المصرية القديمة، حيث اعتنقوا تقديس بعض المعبودات المصرية القديمة وبنوا نحو 220 هرماً صغير الارتفاع ليدفنوا فيها ملوكهم بعد موتهم، في حين قام حكام الأسرة الخامسة والعشرين بصنع تماثيل لهم على نفس هيئة ملوك مصر ولكنها صنعت من الجرانيت الأسود بملامح زنجية، في حين أن شعب مصر كان متجانساً من الناحية العرقية، حيث تباينت ألوان البشرة بين أهل مصر السفلى وصعيد مصر والنوبة. وفي عام 2017، أجريت دراسة وراثية على 83 مومياء من منطقة أبوصير، والتي شكلت "أول مجموعة بيانات موثوقة تم الحصول عليها من المصريين القدماء باستخدام تحليل الحمض النووي، وأظهرت الدراسة أن المصريين القدماء كانوا يتمتعون بأكبر قدر من التقارب مع سكان الشرق الأوسط الحديث (العرب والشاميين والأناضول)، وكان لديهم تقارب أكبر بكثير مع جنوب شرق أوروبا مقارنة بأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

عفواً دي جاما.. المصريون القدماء سبقوك!

يعرف العالم أن البرتغاليين كانوا أسياد الاكتشافات الجغرافية خلال القرن السادس عشر الميلادي، لما قاموا به من اكتشاف العالم الجديد والدوران حول أفريقيا، حيث قام الملاح والمكتشف البرتغالي فاسكو دي جاما برحلته الشهيرة حول أفريقيا في عام 1497م ليكتشف طريقاً جديداً عرف باسم طريق رأس الرجاء الصالح معتمداً على أربع سفن تحمل طاقماً مكونا من 170 رجلاً ومجموعة من المدافع، فبدأ رحلاته من مدينة لشبونة مروراً بالساحل الغربي لأفريقيا ثم الوصول إلى رأس الرجاء الصالح ومنها إلى الساحل الشرقي حيث منطقة موزمبيق. وكان لهذا الاكتشاف بالغ الأثر في انهيار دولة المماليك في مصر والشام اقتصادياً.

ولكن يجهل العالم أن المصريين القدماء قد سبقوا البرتغاليين في هذا الاكتشاف الكبير، بل ينكره البعض عليهم، فتذكر لنا الأدلة التاريخية قيام الملك نيكاو الثاني (610-595 ق.م) من الأسرة السادسة والعشرين - والتي تعتبر آخر الأسرات القوية في حضارة مصر القديمة - ببناء أسطول مهول يفرض به سيطرته على البحرين الأحمر والمتوسط، واستعان بخبرات الملاحين الفينيقيين والإغريق في بناء هذا الأسطول، حيث أدخلوا نوعاً جديداً من السفن لم تعرفه البحرية المصرية وهي الكورنثية والأيونية ذات الثلاثة مجاديف على كل جانب والمعروفة باسم Triremes.

بدأت تلك الرحلة المثيرة من خليج السويس والبحر الأحمر بمحاذاة البر ناحية اليمن حتى وصلوا إلى ما يعرف حاليا برأس الرجاء الصالح، ونجحوا في الدوران حول القارة والإبحار بمحاذاة غرب أفريقيا ثم الدخول إلى مضيق أعمدة هيراكليس (مضيق جبل طارق حالياً) والإبحار بالبحر الشمالي (البحر المتوسط) والعودة إلى

مصر، حيث رسوا في منطقة (راقودة) مكانها الآن الإسكندرية، ومنها عادوا إلى (ساو) العاصمة في شمال الدلتا، وهو على عكس اتجاه رحلة دي جاما.

وكانت مراكب الرحلة ترسو بموانئ الساحل خلال مواسم الخريف فينزل الملاحون ويبذروا الأرض في أي جزء اتفق أنهم رسوا فيه، ثم ينتظرون حتى زمن الحصاد، وبعد حصد الغلة والراحة يقلعون ويستكملون رحلتهم، حتى استغرقت تلك الرحلة ثلاث سنوات كاملة نجحت في بلوغ الهدف منها وهي الكشف والمعرفة والسيطرة على طرق التجارة البحرية القديمة وفتح أسواق تجارية جديدة وفرض القوة وإظهار المهارة البحرية.

ويذكر لنا هيرودوت في كتابه الرابع ما سمعه عن تلك الرحلة، حيث وجد الملاحين المصريين الشمس على يسارهم عند بداية الرحلة، لكن مع الدوران حول ليبيا (أفريقيا) وجدوها على يمينهم، مما أثار دهشتهم وتعجبهم وأصابهم بالرعب الشديد والتعجب والاستغراب لهذه الظاهرة لعدم معرفتهم بحجم أفريقيا، فقد ظنوا أنهم على خط ساحل واحد لا ينحني لأنه كان من المعروف حينها أن أفريقيا كانت متصلة جنوباً بآسيا، ولم يكتشفوا دورانهم حول الجزء الجنوبي من القارة الأفريقية. لكن تلك الحجة برهنت على صدق الرحلة، وهو ما صدقه بلليني الأكبر أيضاً، بينما شكك فيها كل من الرحالة الأغارقة استرابون وبوليبيوس، والروماني بطليموس. وقد اتفق كل من الكاتب ويندل في كتابه تاريخ مصر 1890م والرحالة الإسكتلندي جيمس بيكي في أوائل القرن العشرين مع رأي هيرودوت في التصديق بقيام رحلة الملك حول أفريقيا، روغم ذلك نجد من يشكك في القيام بتلك الرحلة وينكر حدوثها مثل عالم المصريات آلان لويد في السبعينيات أن يقوم ملك مصري

قديم بهذا النوع من الرحلات بسبب ضعف الحالة السياسية والاقتصادية التي كانت عليه البلاد في وقت حكمه، وهو ما يمكن الرد عليه بأن عصر الأسرة السادسة والعشرين رغم وقوع مصر في أزمات سياسية واقتصادية إلا انها كانت تعرف بعصر إحياء النهضة المصرية لما كان فيه من محاولات لإحياء حضارة مصر القديمة من معمار وأدب وفن بالإضافة إلى الاكتشافات العلمية.



المراجع المختارة:

المصادر والمراجع العربية والمترجمة

1.أحمد سعد الدين، فرعون ذو الأوتاد - تهويد التاريخ والأرض والتراث وأكذوبة الأرض الموعودة. القاهرة 2015.

2.أحمد فخري، الأهرامات المصرية. القاهرة 1994.

3.أبو عبد الله بن محمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، مطبعة ليدن 1909م.

4.أبي الصلت، الرسالة المصرية. تحقيق عبد السلام هارون. المجموعة الأولى، الطبعة الثانية، مكتبة البابلي الحلبي، القاهرة 1972م.

5.إبن جبير، رحلة ابن جبير، تحقيق: حسين نصار، مكتبة مصر، القاهرة 1992م.

6.إبن حوقل، المسالك والممالك. طبعة ليدن 1873.

7.أنيس منصور، لعنة الفراعنة. دار الشروق 1989.

8.______، الذين هبطوا من السماء. الطبعة السادسة عشرة. دار الشروق.1995.

9.إيريك هورنونج، وادي الملوك أفق الأبدية، ترجمة محمد العزب موسى. مكتبة مدبولي 2002.

10.________، أخناتون وديانة النور، ترجمة محمود ماهر طه. الهيئة المصرية العامة للكتاب 2010.

11.تحفة حندوسة، الزواج والطلاق في مصر القديمة. مطابع وزارة الثقافة المصرية. 1998.

12.جيمس هنري برستد، فجر الضمير. الهيئة المصرية العامة للكتاب 2001.

13.زاهي حواس، موسوعة أهرامات مصر، الجزء الثالث: المجموعة الهرمية للملك خوفو. نهضة مصر 2006.

14. زاهي حواس، معجزة الهرم الأكبر. الهيئة المصرية العامة للكتاب 2003.

15.________، عائلة الملك خوفو: تاريخ وأسرار الأسرة الرابعة. الدار المصرية اللبنانية 2009.

16.________، جنون اسمه الفراعنة. نهضة مصر 2010.

17.________، 40 سنة حفائر. الدار المصرية اللبنانية 2015.

18.________، الملك الذهبي توت عنخ آمون. الدار المصرية اللبنانية. 2007.

19.________، أهرامات مصر: هضبة الجيزة: أبوالهول. نهضة مصر 2009.

20.سعد عبد المطلب، الهيروغليفية تفسر القرآن الكريم: شرح ما يسمي بالحروف المقطعة. مكتبة مدبولي القاهرة 2002.

21.__________، أخناتون أبو الأنبياء. مكتبة مدبولي القاهرة 2007.

22.سليم حسن، أبو الهول. الهيئة المصرية العامة للكتاب 1999.

23.______، موسوعة مصر القديمة (الجزء الثامن عشر: الأدب المصري القديم). القاهرة 1990.

24. سيد القمني، النبي موسى وآخر أيام تل العمارنة. الجزء الثالث. المركز المصري للبحوث 1999.

25.سيد كريم، أخناتون. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة 1997.

26.العبدري (أبي عبد الله محمد بن مسعود): رحلة العبـــدري (تحقيق: على إبراهيم كردي. الطبعة الأولى، دار سعد الدين، دمشق 1999م)

27.عبد الحليم نور الدين، اللغة المصرية القديمة. القاهرة 2011.

28.عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر. تحقيق عبد الرحمن عبد الله الشيخ. 1998.

29.العهد القديم. سفري التكوين والخروج.

30.فيليب فاندنبرج، لعنة الفراعنة، ترجمة خالد أسعد وأحمد غسان. بيروت 2004.

31.القرآن الكريم. سور الفجر، الشعراء، العنكبوت، يوسف.

32.القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، جزءان، الطبعة الأولى، سلسلة الدراسات الشعبية، العددان 77، 78، القاهرة 2003م.

33.محمد سمير عطا، الفراعنة لصوص حضارة. القاهرة 1996.

34.مصطفى محمود. برنامج العلم والايمان (حلقة الهرم المعجزة) التلفزيون المصري.

35.المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر. المكتبة العصرية 2005.

36.المقريزي، مواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار. أربعة أجزاء، طبعة سلسلة الذخائر من طبعة بولاق، القاهرة 1999م

المراجع الأجنبية

1.Assmann., Jan. Moses the Egyptian: The Memory of Egypt in Western Monotheism. Harvard University Press, 1997.

2.Balabanova, S. et al, "First Identification of Drugs in Egyptian Mummies", Naturwissenschaften 1992.

3.Braverman., Irwin M. "Akhenaten and the Strange Physiques of Egypt's 18th Dynasty" Article in Annals of internal medicine 150(8):556-60 • May 2009.

4.Brier., Bob & Houdin., Jean-pierre. The Secret of the Great Pyramid: How One Man's Obsession Led to the Solution of Ancient Egypt's Greatest Mystery. Collins 2008.

5.Colin, Reader (2002). "Giza Before the Fourth Dynasty". Journal of the Ancient Chronology Forum. 9. pp. 5–21. Archived from the original on December 10, 2013. Retrieved October 11, 2017.

6.De Volney., M. Constantine. Travels through Syria and Egypt in the Years 1783, 1784, and 1785. London 1787.

7.Freud, Sigmund. Moses and Monotheism: Three Essays. 1939.

8.Hawass, Zahi (1 September 2010). "King Tut's Family Secrets". National Geographic Magazine. Retrieved 16 June2019.

9.__________, Yehia Z Gad, and Et Al. "Ancestry and Pathology in King Tutankhamun's Family." JAMA: The Journal of the

American Medical Association 303.7 (17 February 2010).

10.Herodotus, Histories (book II), translated by George Rawlinson, London 2000.

11.Howard Carter's diaries (1 January to 31 May 1923)". Archived from the original on 7 April 2007.

12.Jones, Prudence J., Cleopatra: a sourcebook, Norman, Oklahoma: University of Oklahoma Press 2006.

13.Lehner., Mark. Complete Pyramids. Thames &Hadson 1997.

14.Leonard H. Lesko, ed. "Pharaoh's Workers: The Villagers of Deir El Medina". Cornell University Press 1994.

15. https://mysteriousuniverse.org/?s=pyramids.

16.Manetho, History of Egypt. translated by W.G.Weddell. London.1940.

17.https://www.snopes.com/fact-check/mummy-titantic/

18.Panko, Ben (2 June 2016). "King Tut's dagger made from an ancient meteorite". Science. American Association for the Advancement of Science. Retrieved 5 June 2016.

19.Pliny the Elder, The Historie of the World. Book V. English edition by PHILEMON HOLLAND. 1601

20.Reeves, Nicholas. "Akhenaten: Egypt's False Prophet", Thames & Hudson, 2001.

21.Roller, Duane W., Cleopatra: a biography, Oxford: Oxford University Press. 2010.

22.https://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCoptic-Books-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/01_A/A_036.html.

23.Taylor, Richard. "SHABTI (USHABTI, SHAWABTI)." Death and the Afterlife: a cultural encyclopedia. California: 2000.

24.Temple., Robert K. G. The Sphinx Mystery: The Forgotten Origins of The Sanctuary of Anubis (Rochester, Vermont: Inner Traditions, 2009)

25.Verner, Miroslav. The Pyramids: The Mystery, Culture, and Science of Egypt's Great Monuments. Grove/Atlantic 2007.

المحتويات

مقدمة... 9
تاريخ مصر الخرافي............................13
كيف روى لنا المؤرخون تاريخاً خرافيا لمصر؟ 13
ملوك الطوفان.................................... 17
ملوك مصر بعد الطوفان 18
الفراعنة والعماليق 21
قائمة ملوك مصر الحقيقيين........................25
الهرم الأكبر .. معجزة طالتها الخرافة 41
خرافات الرحالة حول الهرم: 44
أسطورة الهرم والطوفان وبيت الأسرار: 45
علاقة الهرم بالنبي يوسف:............................. 51
كيف بُني الهرم الأكبر؟ 53
من بنى الهرم؟ 56
أبو الهول..ذلك الكائن الخرافي............................ 69
أبو الهول..رجل أم امرأة؟ 72
أنف أبي الهول:.. 74
خوفو أم خفرع؟ 76
لماذا نحت أبو الهول؟ 79
هل هناك أبو الهول آخر؟ 80
أبو الهول والمسيح الدجال: 82
سراديب وكنوز أبي الهول: 83

جماعة الساحر إدجار كايسي: 83
أسطورة الزئبق الأحمر.......................... 87
علاقة الزئبق الأحمر بمصر القديمة: 89
جرائم باسم الزئبق الأحمر: 92
هل هناك شيء اسمه الزئبق الأحمر؟........................ 94
لعنة الفراعنة..الخرافة والحقيقة 97
متى ظهرت لعنة الفراعنة؟ 99
لعنة الفراعنة تضرب المصريين: 103
السفينة تايتانيك ولعنة الفراعنة: 104
كشف حقيقة اللعنة: 108
ألغاز الملك الذهبي........................ 111
من قتل الملك توت؟ 114
كشف جريمة عمرها 5 آلاف عام:........................ 115
هل وُلد الملك توت سِفَاحاً؟........................ 116
أخناتون..نبي مصر القديمة 119
الآتونية والتوحيد: 121
أخناتون والنبي موسى: 124
أخناتون والنبي يوسف: 126
أخناتون والنبي إبراهيم: 128
هل كان أخناتون شاذا؟ 131
سر فرعون موسى والهكسوس.. واليهود........................ 133
حقيقة الهكسوس والعبرانيين: 135
فرعون، اسم أم لقب؟ 137

براءة فرعون: 138
هل شيدت السُخرة حضارة مصر القديمة.................. 143
التضحية بالبشر: 145
العبيد وعمارة المصريين القدماء:........................ 146
عروس النيل والتضحية بالفتيات:........................ 152
خرافات أخرى شائعة........................ 155
هل عبد المصريون الحيوانات؟ 157
المصريون لم يكونوا عمالقة: 158
سحر كليوباترا: 159
مصر القديمة والفضاء: 163
أهرام على سطح المريخ: 165
الهيروغليفية والعرب والقرآن الكريم: 168
زواج الأخوات: 171
حتشبسوت رجلاً؟ 172
أصل الحضارة المصرية القديمة..عراقي: 174
الأمازيغ يحكمون مصر:........................ 177
الشذوذ في مصر القديمة:........................ 178
هل عرف المصريون القدماء الكوكاين؟........................ 180
الفراعنة السود: 181
عفواً دي جاما..المصريون القدماء سبقوك! 183
المراجع المختارة: 187
المصادر والمراجع العربية والمترجمة........................ 187
المراجع الأجنبية 190



من بنى الأهرام؟ هل هم اليهود أم قوم عاد أم كائنات فضائية؟

كيف قتل الملك توت؟ ومن هو فرعون موسى؟

وما هو سر لعنة الفراعنة؟ وهل هناك شيء يعرف باسم الزئبق الأحمر؟

خرافات عديدة أحاطت ومازالت تحيط بمفردات حضارة مصر القديمة حتى يومنا هذا. ربما لكونها أكثر حضارات العالم غموضا وقوة رغم أفول نجمها. فمازال العديد من المؤرخين والمستشرقين عبر العصور يحملونها قدرا من الأساطير والأكاذيب دون وعي أو علم.

من يتصفح هذا الكتاب يجد محاولة جادة للرد على تلك الخرافات اعتمادا على الطرق العلمية الحديثة والمصادر التاريخية والأثرية السليمة مقارنة بما ذكر في نصوص الكتب السماوية بعيدا عن الدجل أو الأخطاء الشائعة. من أجل إنصاف حضارة مصر القديمة وتقديمها للعالم بالشكل اللائق والمكانة الحقيقية التي تليق بها، وتعريف الناس بمدى أهميتها وعظمتها، فحضارتنا هي الأطول والأعرق عبر التاريخ، وأخرجت للبشرية مختلف الفنون والعلوم والآداب والقيم، ولم تبن على يد جن أو أقوام دخيلة عليها، ولم تمد العالم بأكاذيب أو.. خرافات.